كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار

قاسيون

635

WWW.KASSIOUN.ORG

حزب الإرادة الشعبية

الاحد 05 كانون الثاني 2014 ● 24 صفحة ● الثمن «25» ل.س ● دمشق ص. ب «35033» ● تلفاكس «00963 11 3120598» ● بريد الكتروني: «GENERAL@KASSIOUN.ORG»

قاسيون
بانوراما2013
04

جغرافيا الدم..
التكفير والنفط
08

داعل والمعاناة
«المركبة»
10

«دقيقة صمت»
في الحرب
12

الافتتاحية

نتائج «جنيف2» المسبقة وسط إرهاصات موعده

مع بقاء انعقاد المؤتمر الدولي حول سورية ثابتاً حتى الآن في موعده المقرر في 22 الجاري تستمر محاولات اللحظات الأخيرة، ليس لتحسين «الأوضاع التفاوضية» لمختلف الأطراف الداخلية والإقليمية والدولية عبر بوابة تصعيد الوضع الميداني والميليشاتي فحسب، بل لتحويل مسألة شكل مشاركة المعارضة السورية وتركيبة وفدها، أو وفودها، أو بعثتها في جنيف2 كورقة يجري استخدامها من الجانب الأمريكي وحلفائه لتأجيل انعقاد المؤتمر، أو خروجه بنتائج هزيلة.

وعلى اعتبار أن حل المسألة السورية بالوسائل السياسية، بعد تدويلها كلياً، وبعد ثلاث سنوات من الاستنزاف والاستعصاء، بات يعني في جملة ما يعنيه تحقيق انعطافة كبرى في مسار التحولات في ميزان القوى الدولي، وحل حلقة أخرى من سلسلة القضايا العالمية والإقليمية العالقة في غير المسار التقليدي لمصلحة الغرب الامبريالي والأمريكي، فإنه من الواضح تماماً أنه مع اقتراب «جنيف2» باتت تتسارع وتيرة التصعيد الميداني الإرهابي في المنطقة والعالم، من مصر إلى روسيا، مروراً بلبنان والعراق، على اعتبار أن مستوى الصراع العالمي وصل، على نحو عابر في سياق التراجع العام للمعسكر الأمريكي، إلى منعطف جديد سمته الاستماتة بالتصعيد بكل أشكاله، حيث لا تزال مفاعيل المشروع الأمريكي التفتيتي لسورية والمنطقة والشرق عموماً تفعل فعلها، ولو بقوة عطالة الصراع داخل المؤسسة المتنفذة خلف الإدارة الأمريكية.

بموازاة ذلك في الداخل السوري فإن محاولات تأجيج وتسليح الصراعات الطائفية والعرقية من أطراف مختلفة داخلياً وخارجياً تحت مسوغات مختلفة إنما تستهدف الاستباق على المرحلة التي ستلي مؤتمر جنيف كرسمة لمستقبل سورية، لينسجم ذلك بالمحصلة، ورغم تباين المصالح والمواقف افتراضاً، مع المشروع الأمريكي القائم على محاولة تكريس ديمقراطية مكونات ما قبل الدولة الوطنية وإنجاز تحاصص فيما بينها، ليس على أساس توفير عناصر حل وطني شامل يقطع الطريق على ما كنا نصطلح عليه «الخطة–ب».

وعود على بدء بخصوص ما يجري تعويمه كقضية إشكالية معيقة لجنيف تتمثل في شكل «تمثيل المعارضة»، وما إذا كانت تلك المشاركة موحدة أم متعددة أم إقصائية أم غيره، فإن الفيصل الذي سيبدد كل تلك القنابل الدخانية هو أمر مرتبط بتوافق هذه القوى والتشكيلات على رؤية أو برنامج الحد الأدنى، وذلك بغض النظر عن أوزانها الفعلية، التي لم يجر قياسها بعد على أساس قربها أو بعدها عن الشارع السوري وهمومه وتطلعاته، بل يجري على أساس مدى اقتراب أو ابتعاد علاقتها بالسلاح، مع العلم أن إعادة القياس هذه لم تجر أيضاً مع «شعبية النظام» بعد ثلاث سنوات من عمر الأزمة.

وإذا كان المطلوب فعلياً هو مشاركة جميع أطراف المعارضة بمؤتمر جنيف كأنداد، دون أفضلية أو امتياز لأحد على الآخر إلا ببرنامجه ورؤيته، فإنه من الواضح الآن أن مجرد انعقاد مؤتمر جنيف يعني على المستوى السوري السير نحو تحقيق اثنتين من ثلاث نقاط برنامجية أساسية لأية قوة سورية جدية ووطنية، والمتمثلتين بإعلان التوافق الطوعي أو الملزم لمختلف القوى الدولية والإقليمية والداخلية على وقف التدخل الخارجي بكل أشكاله، ووقف العنف من مختلف مصادره، ليبقى على السوريين بالدرجة الأولى تحقيق عمليتهم السياسية، والتي يقف في مقدمتها بناء نظام سياسي اقتصادي اجتماعي ديمقراطي متكامل يضمن وحدة سورية أرضاً وشعباً ومواقف وطنية معادية للاستعمار والصهيونية ومشاريعهما وحلفائهما الإقليميين وأزلامهما المحليين، ويضمن عدم إنتاج الأزمة، وإنجاز المصالحة الوطنية بكل مفرداتها وموجباتها، ويضع مسألة «مكافحة الإرهاب» وداعميه، محلياً وإقليمياً ودولياً، في سياقها الفعال.

تخوم عدرا العمالية: بعد الأسر.. انتظار!

صورة «سانا»

«بطرس الأكبر» يؤمن نقل «الكيماوي السوري»

قال متحدث باسم عملية نقل الأسلحة الكيماوية السورية إلى خارج سورية إن سفينتين حربيتين روسية وصينية ستوفران مزيداً من الأمن للعملية.

وستشارك سفينة حربية روسية هي الطراد «بطرس الأكبر» وسفينة حربية صينية هي الفرقاطة «يانتشينغ»، في عملية نقل الأسلحة الكيماوية السورية المقرر إتلافها في خارج سورية.

ونقلت مصادر إعلامية عن ايشتاين كفارفينغ، قوله إن السفينتين الروسية والصينية لن تكونا تحت القيادة الدانماركية النرويجية للعملية، لكن سيتم التنسيق بشكل وثيق معهما.

وقال كفارفينغ إن سفينتي شحن كانتا أبحرتا من ميناء ليماسول القبرصي إلى المياه القريبة من سورية حيث تنتظران أوامر بشأن الوقت الذى يمكنهما فيه التوجه إلى ميناء اللاذقية السوري لتحميل أكثر من ألف طن من المواد الكيماوية.

بدورها قالت منظمة حظر الأسلحة الكيماوية إن الأسلحة الكيماوية السورية المطلوب إتلافها خارج سورية ستنقل في شاحنات روسية من 12 موقعاً إلى ميناء اللاذقية لتشحن بعدها في سفن، ثم تُنقل إلى ميناء في إيطاليا، حيث سيتم شحنها في سفينة أميركية خاصة لتدميرها.

«وجع ورق»

شكون ياالله! النصرة وداعش هلكونا كنا بكم حرامي صرنا بآلاف الحراميةا ولا بدنا جوا الدلف ولا جوا المزريب..!

يا خوديه..! قلنا لحالنا خلصنا من إحصاء 62 إجتنا إحصاءات وعصابات وتقسيمات 2013 وخيو مين قال بدنا الدلف أو المزراب؟

إش بدي ئلك يا خيو..! لك اشتئنا للحمة الكرزية.. هلأ بانجان معفس باللبن ما عم يصحلنا.. ويا أما هاون هون أو برميل هون..! وبعدين؟

قرد..! لك بحضي وحض ولادي لك ما في ضيعة إلا رايح منها تلترباع شبابها إذا مو كلهم..! بس يا عمي بدكم تقنعوني غصب مِن عني إني مستفيد ومحسوب؟؟ لك تعا عين ها العيشة يللي عايشينها..!

خيي بدك تقللي أنو تخريب كنيسة أو سرقة تحفة بيحرر بلد؟ أو لما بيجي مسؤول بتصور على خرابها بيكون حررنا نحنا؟ ليش في حدا بدو يحطنا بالزاوية يا هيك.. يا هيك؟.. نحنا مع الناس متل كل الناس..!

الكل علقانين.. ونحنا بالنص.. وخربت عنا كل أحيائنا وشوارعنا.. وهدول الجماعة عندهم حواجزهم وهدنك عندهم حواجزهم ومحاكمهم كمان.. وخلصنا بئا إذا بتئدر..! بس فيك تئللي شو فيك تعمل من دون نصك؟؟!

واللهِ واللهِ ومحمد رسول اللهِ..! حنا نشامى وترانا أصبر من الصبر.. ولكن ما نقبل الضيم لا من عدو ولا من صديح..!

مالكم ناويين تهنونا؟ هاون هون وقصف هون.. مناطق بيسكروها هدول ومناطق بيسكروها هدول.. هدول بيحطوا الناس بالأقبية والتانيين بيطلعوا نفس الناس ليحطوهم بالفلا.. عجئة ومرة حواجز قصيرة ومرة حواجز طويلة.. وفوق الموتة عصة قبر بالأسعار وبالتشرد والنزوح وبخربان البيوت وقطع الأرزاق وفوقها الأعناق.. ايه وبعدين بئا معكم..؟

عمي.. لما تحركنا كنا ضد الظلم والاستهتار والسرقة! وإلتعن سلّاف سلّافنا.. واتحملنا كتير واخترقونا كتير.. وهاللحذ صرنا بين صفاقين.. بس يعني بالآخير لقربلك ياها: شنو يعني راس بدون أطراف أو أطراف بدون راس؟ وشنو يعني كل هذول إذا ما كان الجسم صحيح؟

يا خيي.. يا حبيبي.. قد ما التعب بالبلد وأهله طرة أو نقش.. رح تنقلب عليهم كلهم لقش! لأنو يا قباري وسندي.. قد ما حطوا حجارة مخفية تحت المي.. ما بيضل بالوادي غير حجارو..!

بصراحة

■ محمد عادل اللحام

الحركة النقابية والاصطفافات القادمة

ثلاثة أعوام من عمر الأزمة الوطنية السورية انقضت، تكشف عنها عمق الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والديمقراطية، التي دعمتها السياسات الليبرالية عبر حزمة واسعة من الإجـراءات والتشريعات، كان، ومازال لها الدور الرئيسي في تعميق الفرز الطبقي، والوطني، حيث انقسم المجتمع تقريباً إلى طبقتين أساسيتين من حيث نصيب كل منهما من الدخل الوطني«أجور- أربـاح»، وهذا يعني من الناحية السياسية والاقتصادية، أن الأغنياء ازدادوا ثراءً ونفوذاً والفقراء ازدادوا فقراً، وتقيدت حريتهم في الدفاع عن حقوقهم ومصالحهم، لأن في النهاية القوانين والتشريعات والسياسات تعبر عن موازين القوى السائدة في المجتمع، وتعبر عن مصالح الطبقة المهيمنة سياسياً واقتصادياً، لهذا كان تأثير الأزمة كبيراً على الفقراء، وهم من دفعوا فاتورة الفقر والبطالة والتشرد والتهجير من مناطقهم التي دمرتها الحرب الظالمة، وسيبقون يدفعون الفواتير الناتجة عنها لعشرات من السنين إذا لم يحدث تعديل حقيقي في موازين القوى لمصلحة أغلبية الشعب السوري من حيث النظام الاقتصادي الجديد، وآليات إعادة الإعمار المفترض أن تكون موارده في الأغلب لاتحمل أي شروط سياسية تمس السيادة الوطنية واستقلالية القرار الوطني.

كان للطبقة العاملة السورية الحصة الأساسية من فاتورة الأزمة المدفوعة إلى الآن لأنها خسرت معظم مواقعها الإنتاجية، سواء في القطاع العام أو الخاص الذي خسر معظم عماله حقهم بالعمل بسبب هروب أصحاب الأعمال بأموالهم إلى الخارج، وإغلاق منشأتهم، وأيضاً بسبب وقوع العديد من المعامل في مناطق ساخنة لا يمكن للعمال الوصول إليها، ومن هنا يمكن القول بأن فقراء الشعب السوري بعماله وفلاحيه وحرفييه لهم مصلحة حقيقية في الحل السياسي، الذي يتضمن وقف التدخل الأجنبي بكل أشكاله الذي سيؤدي إلى وقف العنف التدريجي، مما يعني انفتاح الأفق أمام الطبقة العاملة في الدفاع عن حقوقها، ومصالحها المعبرة عن المصالح العامة لأغلبية الشعب السوري، التي جرى الهجوم عليها من خلال السياسات الليبرالية التي تبنتها الحكومات السابقة، واللاحقة قبل الأزمة وأثناءها.

إن المرحلة القادمة سيكون طابعها الأساسي هو العمل السياسي المفتوح على مصراعيه، وهذا يعني إعادة اصطفاف القوى المختلفة على أساس البرامج التي تطرحها حول مستقبل سورية، والشكل المفترض أن تكون عليه سياسياً واقتصادياً، حيث يتطلب من القوى الوطنية، وفي مقدمتها الحركة النقابية التوافق على برنامج الحد الأدنى المعبر عن مصلحة وحقوق أغلبية الشعب السوري في مواجهة قوى الفساد الكبير التي تحضر نفسها منذ وقت بعيد لإعادة الاستثمار في مرحلة ما بعد الأزمة.

أحلام عامل بالعام الجديد

هذا العدد هو الأول من «قاسيون» مع دخولنا لعام جديد نتمناه أن يحمل الخير والأمل للجميع في حياة كريمة ملؤها الصحة والعافية والنجاح في تحقيق الأهداف والطموحات بعد أن ودعنا عاماً طويلاً مليئاً بالأحداث من عنف وقتل وخطف ذهب ضحيته الآلاف من الطبقة العاملة السورية، فليذهب هذا العام دون رجعة حاملاً معه أفراحنا وأحزاننا على حد سواء.. نجاحاتنا واخفاقاتنا.. سعادتنا وآلامنا وأوجاعنا وهمومنا.. ويحدونا الأمل في عام جديد أن يكمل عمال وكادحو الوطن مسيرتهم في الحياة الكريمة، وتحقيق ما عجزوا عن تحقيقه في الأعوام الماضية.

■ محرر الشؤون العمالية

عام جديد نتمناه أن يحمل الخير لكل السوريين والتقدم بعجلة التنمية الاقتصادية بعد تعطلها مرات ومرات بسبب الأزمة، وكلنا أمل في تنمية حقيقية تهتم بصقل وتدريب العقول لأنها الضمانة الحقيقية لنجاح واستمرار النمو وعدالة التوزيع المنشود.

عام جديد نتمنى أن نشهد فيه فصلاً حقيقياً بين السلطات من أجل المصلحة العامة ومصلحة المواطن الذي مازال يحدوه الأمل في تحقيق طموحاته وأولوياته التي حددها قبل بدء الأزمة، وإن كان من حق أي وزير أن يعمل وفق الآليات التي حددها القانون، وأن يأخذ فرصته كاملة ويجتهد في تنفيذ البرنامج الذي أعدته حكومته، وإن من حق النائب أن يراقب أداء الحكومة، ويستجوب أعضاءها عندما يرى خروجا عن الطريق أو تقاعسا في تأدية المهام، فإن من حق العامل محاسبة ذلك العضو وتلك الحكومة حين لا تحقق أهدافه وتحافظ على مكاسبه التي حققها عبر نضال مرير، ومن حقه حينها أن يقوم بالإضراب والاعتصام دون محاسبة!!.

من حق العامل محاسبة الحكومة حين لا تحقق أهدافه وتحافظ على مكاسبه

عام جديد نتمناه أن يحمل الخير للحركة النقابية في تحقيق مطالب الطبقة العاملة، وتواصل النقابات نجاحها في تحقيق برامجها السنوية، وأيضا مواصلة نجاح الاتحادات العمالية في دعم ومساندة النقابات في مطالبها العادلة.

عام جديد نتمناه أن يحمل الخير للمسرحين تعسفياً من العمالة الوطنية سواء من سرّحوا قبل الأزمة أو أثنائها، مطالبين الجهات المعنية بإعادة وتأهيل المسرحين وتوفير فرص العمل المناسبة لهم بما يحقق الاستقرار المعيشي لهم ولأسرهم ويحافظ على حقوقهم السابقة، ويكونوا رافدا مهما لسوق العمل.

عام جديد نتمناه أن يحمل الخير للعمالة الوافدة سنوياً لسوق العمل من خلال إتاحة الفرص، وتطبيق سياسة استقدام واستخدام العمالة بما يتناسب مع حاجات سوق العمل، دون الإساءة للعمالة الوطنية التي كانت وماتزال حجر الأساس في بناء الوطن!!.

إنها مجرد تهيؤات عامل «جوعان» وجردة حساب من لا حساب له !!.

العاملون بالمحطات الكهربائية والسلامة المهنية

أكد بعض العاملين في وزارة الكهرباء أن على نقابة عمال الكهرباء في جميع المحافظات التمسك بحقوق العاملين كافة في محطات الكهربائية من أجل الحصول على بدل الأعمال الشاقة الذي يعد من الحقوق الهامة لهؤلاء العمال، وذلك كل شهر على حدةٍ نتيجة ما يعانونه يومياً من مخاطر جراء الانقطاعات والأعطال اليومية لشبكات الكهرباء في مختلف المحافظات بسبب الأزمة والاستهداف اليوم لمحطات توليد الكهرباء، مطالبين المسؤولين والمشرفين في الصحة والسلامة المهنية بضرورة لعب دورها في الدفاع عن حقوقهم دون نقصان.

■ ريم علي

وأضافوا أن العاملين الذين يبذلون الجهد والعرق على مدار العام بل ويواجهون مخاطر كبيرة من أجل توفير الكهرباء للمواطنين، وفي النهاية لا يجدون من يقدر هذا الجهد الكبير والوطني الذي يقدمه هؤلاء العاملون في المحطات وهذه مصيبة.

إن التعويض عن الأعمال الشاقة حق مصان للعاملين بالمحطات الذين يواجهون الأمرَّين لتأدية واجبهم، لذا نحن في «قاسيون» وبالتعاون مع العمال مستمرون في الدفاع عن هذا الحق، وإقراره لمصلحة العاملين في المحطات، إيمانا منا ومن الجميع بحقهم في ذلك، ولتكون دفعة قوية لهم على مضاعفة الجهد وحافزاً على زيادة الإنتاج فهم الركيزة الأساسية، والحصن الحصين للعمل داخل المحطات، فهم الذين يحملون على عاتقهم عبء إنتاج الكهرباء، وهم أصحاب حق الحصول على بدل الأعمال الشاقة ليست منة من أحد، فهذا حق لهذه الفئة، لأنهم يتعرضون للموت وللتلوث والغازات وغيرها من الأخطار الأخرى، فأنصفوهم على جهودهم!!.

هيئة التشغيل بلا تمويل!!

يتجه العالم إلى الاهتمام بالمشروعات الصغيرة حيث بينت العديد من الدراسات أن لهذه المشروعات دوراً كبيراً في النشاط الاقتصادي، وقدرته على استيعاب نسبة كبيرة من العمالة والموارد البشرية، وقد تبين من خلال الدراسات أن نسبة المشاريع الصغيرة في معظم اقتصاديات العالم تصل إلى حوالي 90% من المشاريع القائمة.. وقد ازدادت المشاريع الصغيرة في معظم دول العالم المتقدمة بنسبة تقارب 50% خلال السنوات العشر الأخيرة، كما أشارت بعض الدراسات إلى أن مساهمة المشروعات الصغيرة والمتوسطة في الناتج القومي الإجمالي للدول المتقدمة تزيد عن 30%، وإذا ما توفرت الظروف الملائمة لانطلاق هذا النوع من المشروعات فإنها توفر فرص عمل لقاعدة عريضة من قوة العمل تزيد في معظم الأحيان عن 50% من العاملين في باقي مشاريع القطاع الخاص.

■ ياسر حاج حسين

كما أن هذه المشروعات تشكل أداة فاعلة في إنتاج وتوفير سلع وخدمات منخفضة التكلفة والسعر خصوصا للمواطنين من ذوي الدخل المحدود، ومن الجوانب المهمة للمشاريع الصغيرة أنها تساهم في توزيع الدخل بصورة أكثر عدالة من المشاريع الكبيرة، حيث أن فرص العمل التي توفرها المشاريع الصغيرة تكون للعمال من الأسر الفقيرة أو محدودة الدخل الذين يفتقرون إلى مصادر بديلة للدخل، وذلك يعني أنها تخفف من حدة الفقر.

الملفت في هذه الهيئة سورياً ما أوضحه مدير تنمية المشروعات في هيئة التشغيل وتنمية المشروعات أحمد خليل، على أن أكبر تحديات الهيئة هو التمويل، والذي يعتبر الحلقة الأصعب في سلسلة حلقات تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة، ولعل السؤال الهام هنا: إن كانت الهيئة التي من المفترض بها الداعمة لكل هذه المشاريع تفتقد للتمويل، فمن الذي يمتلكها، وعلى من تقع مسؤولية تأمينها؟!.

وأشار خليل إلى أن الهيئة عملت على إنجاز كل حلقات تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وبتقنية عالية جداً من تدريب وتأهيل ودراسات جدوى، ومتابعة وإقامة دورات فنية، كما أن الهيئة اهتمت منذ إحداثها بهذا النوع من المشروعات وكان هدفها الأساسي هو توليد فرص عمل، وذلك عبر عدة برامج أبرزها تنمية المشروعات المتوسطة والصغيرة الذي استحوذ على نسبة 90% من موارد الهيئة.

واعترف خليل بأن أولى العقبات التي واجهت الهيئة لحظة انطلاقها، تتمثل بصعوبة نشر ثقافة العمل في القطاع الخاص، وإقناع الشباب المفترض أن يكونوا من رواد الأعمال التوجه نحو المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر.

ونوه إلى أن برنامج تشغيل الباحثين عن عمل لا يزال مستمراً، «وبموجبه تتحمل الدولة جزءا من أعباء القطاع الخاص في حال تشغيله عدداً معيناً من العمال، موضحا أنه في حال وقعت إحدى الشركات عقداً لتشغيل عامل لمدة خمس سنوات تتكفل الدولة بدفع رواتب أول سنة تشغيل، بما يوازي الحد الأدنى من راتب الفئة المحددة في القطاع العام، وفي حال كانت مدة العقد ثلاث سنوات تدفع رواتب ستة أشهر، وهو بلا شك يخفف عن رب العمل في أوقات الأزمات.

إن كان الهدف من هذا البرنامج هو تسهيل تشغيل العاطلين عن العمل في القطاعين العام والخاص، فما الرقم الحقيقي الذي استطاعت الهيئة تحقيقه وهي في أوج نشاطها وعملها وممولة بالقدر المطلوب؟!.

تحديات هيئة التشغيل هو التمويل الذي يعتبر الحلقة الأصعب في سلسلة حلقات تنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة

المتقاعدون وأزمة الضمير

■ علي نمر

تعتبر تسوية أوضاع المتقاعدين الذين أتلفت ملفاتهم ووثائقهم نتيجة الأعمال التخريبية في مناطقهم لإيصالهم إلى مستحقاتهم أمراً في غاية الأهمية، هذه التسوية التي لابد أن يشارك فيها لجان ممثلين عن الجهات المتداخلة فيها، بحيث تضم النقابات والمديرين العامين للتأمينات الاجتماعية والتأمين والمعاشات، والجهاز المركزي للرقابة المالية، بهدف التسريع في معالجة أوضاع هؤلاء فوراً لصرف مستحقاتهم، ولكي تكون هذه الخطوة بداية في مراجعة ملفات العاملين كافة، والذين سيحالون إلى التقاعد خلال العام الحالي 2014 لاستكمال الثبوتيات المطلوبة كي تكون هناك سرعة في إنجاز المعاملات التقاعدية حين إحالتهم للتقاعد، وأن تضع آليات واضحة لكي يتم تعميم التجربة في السنوات اللاحقة منعاً للروتين الحاصل والتأخير في معاملات المتقاعدين في حصولهم على مستحقاتهم.

إن ما يجب العمل عليه من الآن وضع نقاط أولية لمشروع مرسوم يمكن إصداره ويتم الاعتماد عليه بهدف حل مشكلة رواتب المتقاعدين من مدنيين وعسكريين، وورثتهم الذين أصبحوا تحت خط الفقر نتيجة تزايد الفروقات الاجتماعية والمادية بينهم، وبين الذين تم إحالتهم على التقاعد بعد فترة زمنية، وتأتي أهمية الإقدام على هذه الخطوة إلى أنه يوجد على أرض الواقع أمثلة كثيرة لأساتذة جامعة وقضاة ومديرين، والراتب التقاعدي لأي منهم أقل من الراتب التقاعدي للموظف العادي الذي كان يعمل ضمن الهيئة الإدارية التابعة لهم، وهو يحمل شهادة ثانوية فقط على سبيل المثال لا الحصر، ففي ذلك عدالة التوزيع.

إن المطلوب من اللجنة الدارسة للمرسوم وللمقترحات الواجب تقديمها أن تتوصل إلى حل جذري للمشكلة، وذلك عبر مجموعة من الخطوات أولها إعادة احتساب رواتب كل المتقاعدين المدنيين والعسكريين بما فيهم المتوفون «لإعادة احتساب استحقاقات الورثة» وفق جداول رواتب تقاعدية مقابلة لأمثالهم من القائمين على عملهم بتاريخ تطبيق المرسوم في حال صدوره.

إن هذه الخطوة تتطلب إقامة علاقات مع الاتحادات الأجنبية للاستفادة من خبراتهم في قوانين التأمينات والضمان الاجتماعي، والاستفادة من خبرة وتجربة الروّاد الأوائل من النقابيين القدامى والمخضرمين في قضايا التأمينات، حيث يُعتبرون مخزوناً للحركة النقابية.

إن العمال المتقاعدين ضحّوا كل التضحيات في سبيل أن ينعم جميع العمال بحقوقهم، ومن هذا المنطلق لابد من الدفاع عن أوضاع العمال المعيشية وإنهاء معاناتهم، خصوصاً أن بعضهم يتلقى رواتب تقاعدية ضعيفة مع تغيّر الظروف المالية، ومنهم من لا يحصل على علاج جيد، فهل تفعلها الجهات المعنية؟!.

من الأرشيف العمالي

رجعية على طول الخط

■ أبو فهد

أثارت ندوة الحوار الوطني التي أقيمت بدمشق بدعوة من اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين ردود أفعال مختلفة أبرزها وأكثرها حدة تلك التي رددها المبهورون بالليبرالية والمبشرون في الفضاء السياسي والثقافي السوري، ومن باب المساهمة في الحوار سنحاول مناقشة بعض الآراء والأفكار في هذا المجال:

المعروف أن الليبرالية أيديولوجيا البرجوازية في بواكير نشوئها وصراعها مع الإقطاع رفعت شعار «دعه يعمل.. دعه يمر». ولكنها مع وصول الرأسمالية إلى مرحلتها الاحتكارية والبدء بتقسيم العالم غدت هذه الليبرالية رجعية على طول الخط، وأصبحت معرقلاً للتطور الموضوعي لملايين البشر في أطراف النظام الرأسمالي وضربت بعرض الحائط قيم الحرية والمساواة والتنوير الليبرالية. وفي المرحلة الراهنة من تطور الرأسمالية– العولمية– بات الجميع يدركون أن الليبرالية الجديدة بنموذجها الأمريكي لا تسعى إلى السيطرة فحسب بل تحاول أيضاً الاستفراد بها، والتحكم ليس بمصالح شعوب الأطراف فقط بل بمجموع التطور العالمي ومن هنا لا يمكن الحديث عن شيء جديد لدى الليبرالية العتيدة من حيث الجوهر.

إن الرأسمال أناني وجشع بطبيعته. أما ما هو غير طبيعي حقا فهو موقف بعض النخب الثقافية التي تحاول تسويق هذا النموذج الليبرالي، عبر خطاب ديماغوجي مضلل، إذ تقدمه لنا وكأنها المنقذ الوحيد لما نحن فيه من فساد واستبداد.

إن هذه النخب، إما لا تدرك حقيقة الموقف وجوهره أو إنها تلعب وبإتقان دور صباغي أحذية الغزاة وبائعي الدم والضمير. وإن قولهم إن الليبرالية ستأتي لتنقذنا من البرجوازية الطفيلية. فهي معادلة لا أخلاقية ومنافقة. أو ليست البرجوازية الطفيلية هي عرّاب المشروع الليبرالي في العالم الثالث ومنه بلادنا؟!

بقي أن نؤكد أن هذا الموقف من الليبرالية لا يعني أننا معجبون بالواقع الراهن والذي نؤكد على ضرورة تجاوزه، لا بطريقة الليبراليين الجدد، بل عبر أوسع حوار وطني يفضي إلى أوسع تحالف وطني ديمقراطي ليس هدفه تقاسم المكاسب والغنائم والمغانم مع أحد، بل من أجل كرامة الوطن والتي هي مجموع كرامات المواطنين.

■ قاسيون العدد 235 تشرين الثاني 2004

بانوراما 2013

بداية ترجمة التوازن الدولي الجديد والتحضيرات الأخيرة لـ«يالطا-2»

احتل عام 2013، بزخم التغيرات التي حملها معه، موقعاً مفصلياً هاماً ضمن حقبة انعطافية على المستوى العالمي لمّا تصل إلى نهاياتها بعد، ولكنها تحث الخطا سريعاً نحو تثبيت التوازنات الدولية الجديدة، بكل ما يعنيه ذلك من انعكاسات إقليمية وداخلية سورية. وسنحاول في هذه البانوراما أن نكثف الإضافات المعرفية الأساسية التي قدمها «حزب الإرادة الشعبية» عبر افتتاحيات جريدته «قاسيون» في قراءته للمشهد الدولي والإقليمي والداخلي خلال العام المنصرم، وفي القلب من ذلك تطورات الأزمة السورية ومآلاتها..

التوازن و«يالطا-2»

التقطت «قاسيون» بدايات التراجع الأمريكي مبكراً، منذ عام 2002، مستندةً إلى قراءة معمقة للأزمة الرأسمالية العالمية العميقة التي دفعت بواشنطن للخروج إلى ما أسمته «الحرب على الإرهاب». الحرب التي لم تستطع تحقيق الغايات المرجوة منها، ما أدى إلى انفجار الأزمة بطورها المالي سنة 2008، والذي تليه الأطوار الاقتصادية فالاجتماعية فالسياسية.. ويمكن القول إن التوازن الدولي الجديد بين منظومة «بريكس» وحلفائها من جهة، وبين المنظومة الغربية من جهة أخرى، قد غدا أمراً واقعاً منذ 2008 بإحداثياته الاقتصادية والعسكرية والأمنية، والصراع العالمي الجاري حتى اللحظة، بأحد مركباته، ليس إلا صراعاً من أجل ترجمة هذا التوازن سياسياً، تلك الترجمة التي بدأت فعلياً بالفيتو الروسي- الصيني الأول من المسألة السورية، الترجمة التي تضمنت جنيف الإيراني وستتضمن جنيف السوري تحت يافطة عريضة يمكن تسميتها بـ«يالطا-2» على غرار اتفاق «يالطا» الذي أرسى قواعد النفوذ السياسي في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية.. ولأن الأزمة الرأسمالية العالمية هي أزمة تشمل كامل المنظومة الرأسمالية وتهددها بالفناء ولا تستثني بالتالي منظومة البريكس، فإنّ التوازن الذي يجري الحديث عنه هو توازن مؤقت، لن يستقر طويلاً «كما كانت حال الحرب الباردة مثلاً» ولكنه سرعان ما سيتحول نحو الاستقطاب الحقيقي بين الشعوب من جهة وبين النظام الرأسمالي العالمي كاملاً من جهة أخرى..

ولعل الجديد الذي طفا على السطح بشكل واضح خلال العام المنصرم، وغدا جزءاً أساسياً من طريقة رؤية التحولات العالمية، هو بروز التشققات داخل الإدارة الأمريكية بشكل أكثر وضوحاً، وهو أمر طبيعي تصاب به جميع القوى المتراجعة عبر التاريخ..

الفاشية الجديدة

«بما أن التوازن الدولي الجديد يفرض على الولايات المتحدة ومعسكرها أحد أمرين لا ثالث لهما، إما تراجع منتظم تحتل فيه «واشنطن» حجماً يماثل إسهامها في الناتج العالمي الذي لم يتجاوز 18% قبل عشر سنوات وهو الآن أقل من ذلك بكثير، أو انهيار صاعق وبالمكان، فإن الخيار الأول هو الأكثر عقلانية. ولكن خيار التراجع المنتظم هو في الوقت ذاته انهيار بالنسبة لجزء محدد من المنظومة الرأسمالية هو ذلك الجزء المالي والمصرفي البحت غير الإنتاجي وعلى رأسه الصهيونية العالمية، ما يعني أن خيار استمرار الحرب عبر شكل «فاشي جديد» بالنسبة لهذا الجزء سيبقى مشروعاً «يناضل» من أجله..» «افتتاحية قاسيون/العدد 620»

«يتمثل الخيار الفاشي الجديد في وقتنا المعاصر بتنظيم الإخوان المسلمين العالمي وأدوات الاقتحام الملحقة به من قاعدة وما شابهها، باعتبارهما معاً منظومةً مالية واسعة الانتشار وقادرة على تقديم أكثر الأشكال رجعية لحكم الطغم المالية، وقادرة أساساً وبالجوهر على خلق الحروب المستمرة الهادفة في نهاية المطاف إلى ضرب تطور القوى المنتجة على المستوى العالمي والذي لم يعد تحمله بالنسبة للمنظومة الرأسمالية ممكناً..» «المرجع السابق» ويمكن تفسير المواقف المتشددة لبعض الدول الإقليمية ولجزء من المعارضة بارتباط هؤلاء بالجزء الفاشي من الإدارة الأمريكية وتبعيتهم له.

تحولات إقليمية

شهدت مناطق متعددة في العالم بداية ترجمة التوازن الدولي الجديد على المستويات الإقليمية، ففي مصر سقط تنظيم الإخوان وبدأت العلاقات الروسية المصرية بالسير قدماً وبشكل متسارع، وفي تركيا تراجعت شعبية «العدالة والتنمية» تراجعاً حاداً وخاصةً بعد الفضيحة الأخيرة وبدأ ينكفئ دوره في الملف السوري، إضافةً إلى تخبط وتراجع البدائل الأمريكية في كل من تونس وليبيا. وفي أوكرانيا بدأت العودة بشكل أكبر إلى الفضاء الروسي.. وتنحت قطر عن واجهة التدخل في سورية لمصلحة السعودية.. في ضوء هذه التغيرات العاصفة فإنّ «واشنطن» وإذا كانت «خلال ما مضى من عمر الأزمة السورية غير راغبة بأية حلول سياسية ومصرةً منذ البداية ولا تزال بوسائل تدخلها غير المباشر على «إحراق سورية من الداخل»، إلا أنها اليوم أمام حقيقة مفادها: «في كل يوم جديد ستكون أمريكا أضعف من الذي سبقه» ولذا فإن ما يمكن أن تحصله بحل سياسي ضمن توازن القوى الحالي سيكون أكبر بكثير مما يمكن لها تحصيله- وربما عدم تحصيله- لاحقاً..» «افتتاحية قاسيون/العدد 616»

التهديد بالعدوان والنووي والكيميائي

وفي إطار التحولات الإقليمية السريعة جرى لجم العدوان الأمريكي على سورية ذلك العدوان الذي كان فشله محسوماً منذ الإعلان عنه «فإذا انكفأت أمريكا وامتنعت عن القيام بالهجوم فهذا يعني اعترافها بتوازن القوى الدولي الجديد، وقبولها بدور جديد بحجم جديد ضمن عالم جديد، ويعني أيضاً- في الخاص السوري- ذهابها إلى جنيف صاغرةً وبتنازلات أعلى من كل ما أعلنته سابقاً» وتتابع افتتاحية قاسيون «محكومون بالانتصار/العدد 617» «وفي حال قيام أمريكا بغاراتها على سورية، ضمن تصور تغيير ميزان القوى على الأرض، فإنها ورغم التكاليف الكبيرة البشرية والمادية التي ستدفعها سورية إلا أن تغييراً حقيقياً لميزان القوى لن يجري دون موافقة إقليمية ودولية، أي أن العمل على احتمال من هذا النوع يعني القرار بفتح حرب إقليمية دون أن يعلم أحد إلى أية حدود ستصل تلك الحرب. ووفقاً لحقيقة ميزان القوى الدولي ذاته فإن الخاسر الأكبر سيكون أمريكا ومعسكرها وفي مقدمتها «إسرائيل». وفي حال كانت الضربة محدودة ولم تغير شيئاً في ميزان القوى، فإن سيناريو التراجع عن الضربة لن يختلف كثيراً عن سيناريو ضربة مصغرة إلا في كونه أكثر كارثية بالنسبة للولايات المتحدة..» وتم الضغط بعكس اتجاه العدوان من خلال الانتقال إلى مرحلة الهجوم بطرح الملفين النووي الإيراني، والكيميائي السوري، ولعبت هذه المسائل الثلاث دوراً انعطافياً في إبراز التشقق الأمريكي الداخلي بين التيار الفاشي والتيار العقلاني، ودفع أيضاً إلى بدء اصطفاف عالمي جديد على أساس الموقف من قضية السلم العالمي، الاصطفاف الذي لم يكتمل بعد ولكنه يتقدم بسرعة ويحدد الملامح الأساسية لطبيعة مرحلة الاستقرار النسبي اللاحقة..

توازن متحرك وفرص ضائعة

«وإذا كنا قد أشرنا في وقت مضى إلى أن التوازن الدولي الصفري يؤمن ظرفاً ممتازاً لرفع الوزن النسبي للقوى الوطنية الداخلية في معادلة الصراع العامة الدولية والإقليمية والداخلية وفي التغيير المرتقب، وإذا كنا قد أشرنا إلى أن هذا الظرف هو فرصة سورية خاصة لم تتسن لتونس أو مصر أو ليبيا لأن عاملين أساسيين كانا الحاملين الماديين

الصراع العالمي الجاري حتى اللحظة، بأحد مركباته، ليس إلا صراعاً من أجل ترجمة سياسية للتوازن الدولي المتحقق بمناحيه الاقتصادية والعسكرية والأمنية منذ 2008

تحضيرات «جنيف-2».. المعرقلون والخطة «ب»

لهذه الفرصة هما: الدور المستجد لمجموعة دول «البريكس» من جهة، ووجود قوىً وطنية معارضة رفضت التدخل الخارجي بقوة إصرارها ذاته على التغيير الجذري العميق لبنية النظام السياسي القائم، فإن المماطلة في الاستفادة من هذا الظرف ستنتج بالضرورة عودة الوزن الأساسي في الحل لقوى الخارج على اختلافها وستنتج تدويلاً للأزمة السورية فوق تدويلها السابق، وهو ما يجري على قدم وساق.» «افتتاحية قاسيون/ العدد 589»

وما جرى هو أن فرصاً عديدة تمت إضاعتها «من رفع حالة الطوارئ قانونياً وبقائها عملياً، إلى عدم تنفيذ توصيات اللقاء التشاوري، ومن ثم طريقة انتخابات الإدارة المحلية وبعدها مجلس الشعب التي بقيت على خشبيتها وأحاديتها، ومن ثم الائتلاف الحكومي الذي كان يجب ويمكن أن يكون حكومة وطنية شاملة وليس ائتلافاً يبتعد عن بيانه التوافقي دون حسيب أو رقيب، وقبل ذلك وخلاله تخلف الخطاب الإعلامي الرسمي وأحاديته وضعفه وتبنيه المطلق لمقولات الحسم والكسر وإلى ما هنالك..» «افتتاحية قاسيون/ العدد 590»

وبإضاعة هذه الفرص الواحدة تلو الأخرى، جرى الانتقال عملياً من مستوى محدد للتدويل إلى مستوى آخر أعلى وأعمق، حتى أصبحت سورية أمام واقع جديد لا يتوقف عند عدم جدوى دعوات متشددي الطرفيين المتكررة إلى «الحسم» و«الإسقاط»، بل يتعدى ذلك إلى واقع أن الوضع الميداني الداخلي في سورية، هو الآخر أصبح انعكاساً مباشراً للتوازن الدولي القائم، وذلك ضمن واقع الحدود المفتوحة لكل أنواع التدخلات والتي لا قدرة لسورية على ضبطها دون توافق دولي يضمن ذلك..

إما جنيف وإما استمرار «إحراق سورية من الداخل»

أمام درجة التدويل التي وصلت إليها المسألة السورية نتيجة إصرار متشددي الطرفين على رفض الحل السياسي بادئ الأمر، ثم الموافقة عليه في العلن وعرقلته في السر، فإنّ مركز ثقل المسألة السورية انتقل إلى خارج سورية، وأصبحت المسألة مثاراً للتجاذبات الدولية والإقليمية مهددةً باستمرار إحراق سورية من الداخل وصولاً إلى تحقيق الأهداف التفتيتية الأمريكية دون تدخل عسكري مباشر. ولذلك فقد غدا من غير الممكن تأمين أي مخرج من الوضع القائم دون إعادة مركز الثقل إلى الداخل السوري، الأمر الذي يلّخص مهمات جنيف الثلاثة: «إيقاف كل أشكال التدخل الخارجي، تخفيض العنف باتجاه إيقافه، إطلاق العملية السياسية» «افتتاحية قاسيون/العدد 625» ومهام جنيف هذه، هي مهام متسلسلة ومترابطة، فإيقاف التدخل الخارجي سيسمح بتخفيض مستوى العنف وبإطلاق العملية السياسية بالتوازي مع ذلك، والعملية السياسية الداخلية هي الكفيلة بتقدمها بتصفير مستوى العنف والانتقال نحو سورية الجديدة.. وفي السياق، فإن مكافحة الإرهاب في سورية مهمة مستحيلة التحقيق دون إيقاف التدخل الخارجي، لأن حوامل الإرهاب الأساسية في سورية بما يعنيه من عنف سياسي ذو أجندة خارجية، هي تحديداً تلك القوى التكفيرية القادمة مما وراء الحدود، إضافة إلى قلة قليلة من السوريين السائرين في ركابها، وهؤلاء متمايزون من حيث بنية التفكير وحتى طرائق العمل عن المسلحين السوريين الذين يتواجد بينهم من يقبل بالحل السياسي..

أعداء جنيف وماذا يريدون..

«يمكن تصنيف المتضررين من «جنيف» بين خارجيين وداخليين:

المتضررون الخارجيون، هم الفاشيون الجدد أصحاب رأس المال المالي الاحتكاري الإجرامي الذين تضيق المخارج بهم وتتعمق أزمتهم يومياً، ويصرّون على توسيع رقعة الحرب أفقياً وعمودياً كمخرج افتراضي وحيد من أزمتهم، ويسعون جهدهم لتفتيت سورية واستمرار إحراقها.

وأما الداخليون فهم الفاسدون الكبار الموجودون في النظام والمعارضة والمجتمع على حد سواء، والمتمسكون ببنية جهاز الدولة الحالية التي تسمح لهم بالنهب، والذين لا ضمانات لديهم حول استمرار نهبهم ضمن بنية جديدة يفترض بـ«جنيف» أن يكون نقطة الانطلاق نحو الصراع السياسي على تشكيلها. إضافةً إلى كبار «الحرامية» الجدد من تجار الحرب الذين يقتاتون على موت السوريين وعذاباتهم، والمشتغلين بالأعمال القذرة كافة، من «تعزيل وتعفيش» بيوت المهجرين، إلى الإتجار بالدولار والسلاح، إلى المضاربة بالغذاء، إلى سمسرة الاعتقال والخطف وغيرها من الجرائم..» «افتتاحية قاسيون/العدد 624»

«إنّ الذهاب إلى جنيف ليس حلاً للأزمة السورية، لكنه بداية الحل. والمعركة السياسية والوطنية القادمة لن تكون أسهل من التي مرّت، ولكنها أصعب وأكثر تعقيداً وتحتاج إلى استنفار وعمل الوطنيين السوريين على اختلاف مواقعهم لتثبيت وحدة سورية أرضاً وشعباً ولضرب الفاسدين الكبار وحلفائهم الموضوعيين من «داعشيين» وأشباههم..»«المرجع السابق»

ويكمن في عمق مواقف القوى المعادية والمعرقلة للحل السياسي، خوفها من العملية السياسية باعتبار هذه الأخيرة في تكثيفها احتكاماً إلى الشعب السوري عبر صناديق الاقتراع، ذلك أن فرض نتائج العملية السياسية مسبقاً على السوريين من خلال تحاصص معين بين فاسدي الطرفين هو ضمانة هؤلاء الوحيدة للاستمرار كجزء مكون من مستقبل سورية، وإلا فإن مستقبلهم معرض لخطر حقيقي..

يشارك متشددو النظام ائتلاف الدوحة أزمته، فهم يخشون العملية السياسية ويخشون تحديداً من أن تؤدي هذه العملية إلى تغييرات بنيوية عميقة في بنية النظام القائم

الخطة «ب» والمزاج الشعبي

أفردت «قاسيون» افتتاحيات عدة منذ بدايات 2012 لمعالجة احتمال تحالف فاسدي الطرفين ضد مصلحة الشعب السوري، بدءً بافتتاحية «احتمال ثورة مضادة تحت سقف الحوار» في العدد 546، الاحتمال الذي لا يزال قائماً.. جاء في افتتاحية العدد 587 من جريدة قاسيون «سيناريو اللصوص..» «إذا كانت واشنطن تقف مع «إسقاط النظام»، فلأن هذا الشعار يعني في الظروف الملموسة، وفي ضوء تجربة الأشقاء المصريين والتونسيين، إسقاط الرئيس وإبقاء النظام/ الأنظمة على فسادها وتبعيتها وتخلفها بل وتعميق ذلك بالتوازي مع إسقاط أي توجه وطني معاد للغرب. إن استعصاء هذه العملية في سورية فتح الباب علىً سيناريو جديد يحقق النتيجة نفسها، أي أن المطلوب هو تغيير شكلي في قالب «ثوري»، أي أنه تغيير يبقي الجوانب الجوهرية الاقتصادية- الاجتماعية والديمقراطية على حالها المتردي..»

تتابع الافتتاحية: «إن جوهر السيناريو المطلوب هو تغيير شكلي للنظام، يقدم مخرجاً وهمياً من الأزمة الراهنة، ولكنه يبقي سورية على تخوم الأزمة، ويبقي احتمال انفجارها قائماً في كل لحظة، وإن استبعاد الفقراء وممثليهم من الحوار القادم ومن الحل السياسي القادم هو شرط أساسي لتحقيق هذا السيناريو، لأن لهؤلاء فهماً واحداً لطريقة الخروج من الأزمة، فهماً يرى الخروج من خلال تغيير جذري عميق في بنية النظام، تغيير يضع لصوص الطرفين في أماكنهم المناسبة.. حيث يستحقون».

يمتد التقاطع بين متشددي الطرفين المتناقضين شكلياً إلى «أمور عديدة تتفرع عن عقيدة النهب، فهما يشتركان في مفهومهما عن الديمقراطية بوصفها ديمقراطية توافقية، أي طائفية، ويشتركان بأدواتهما التي يشكل العنف أهمها، ويشتركان برؤيتهما الاقتصادية الليبرالية، ولن يتكلفوا عناءً كبيراً للاتفاق على المساومة على ثوابت سورية الوطنية..» «افتتاحية قاسيون/ العدد 589»

وعلى العكس من إرادة لصوص الطرفين «فإن الشعب السوري اليوم بأغلبيته الساحقة المنهوبة والمتضررة من سياسات المتشددين والفاسدين ووعودهم الخلبية، تريد وقف العنف ليس هروباً من المعركة الوطنية المستحقة، ولكنهم يريدون معركتهم الحقيقية التي لا يقتل الفقراء فيها بعضهم بعضاً، إنما يريدون معركة يقفون فيها معاً في وجه اللصوص الموجودين في الأطراف جميعها، ليحافظوا على وحدة بلدهم ولينجزوا التغيير الديمقراطي والاقتصادي- الاجتماعي الجذري والشامل والذي يعيد إليهم حقوقهم المسلوبة وليثبتوا مؤسسة جيشهم الوطني بصفتها ضمانة رئيسية لوحدة سورية تمهيداً للانتقال بها من الممانعة إلى المقاومة وصولاً للتحرير.» «افتتاحية قاسيون/العدد 594»

بانوراما 2013

القوى والبرامج والمآلات.. وخلاصة أولية

الغاية من التصعيد

يستقر وراء عمليات التصعيد الأخيرة مجموعة من الأسباب أهمها:

«أولاً: المأزق الذي تعانيه عدد من الدول الإقليمية الداعمة للعنف في سورية، والتي تجد في حل الأزمة السورية سياسياً تهديداً لمستقبلها وتأثيرها اللاحق على المعادلات الإقليمية، وعلى رأس هذه الدول تأتي السعودية المرتبطة بشكل نهائي مع الفاشية العالمية الجديدة ومركزها، أي الجزء المتشدد من الإدارة الأمريكية، وأدواته المباشرة المتمثلة بـ«داعش» وأشباهها..

ثانياً: المأزق الذي يعانيه ائتلاف الدوحة ومعه القوى الدولية والإقليمية التي يمثل مصالحها، والمتجسد بعدم قدرته على ضمان وجوده اللاحق داخل أي عملية سياسية سورية، نظراً لمعرفته العميقة بضعف تمثيله الشعبي، ولقناعته أنه سيتبخر بمجرد انحسار العنف والمواجهات..

ثالثاً: يشارك متشددو النظام ائتلاف الدوحة أزمته، فهم يخشون العملية السياسية ويخشون تحديداً من أن تؤدي هذه العملية إلى تغييرات بنيوية عميقة في بنية النظام القائم، وهو الأمر الذي لا يستطيعون ضمان عدم حدوثه، إلا بطريقة واحدة، هي رفع مستوى التصعيد إلى حدوده القصوى سعياً وراء تحويل جنيف من مكان لإيقاف التدخل الخارجي وإيقاف العنف وإطلاق العملية السياسية إلى مكان لإقرار نتائج هذه العملية مسبقاً وفرضها على السوريين، الأمر الذي لا يختلف بالجوهر عن طموحات الائتلاف، بما يسمح لمتشددي الطرفين بالحفاظ على النظام القائم من حيث جوهره الاقتصادي- الاجتماعي، وتحاصص السلطة فيما بينهم. ويلعب التصعيد العسكري هنا دوراً محدداً هو محاولة مصادرة نتائج جنيف قبل انعقاده، وبالضبط قطع الطريق على عملية سياسية حقيقية يتم الاحتكام فيها إلى الشعب السوري.

رابعاً: وراء محاولة متشددي الطرفين استباق نتائج المؤتمر، ومحاولاتهما تأجيله أو حتى إلغائه، تبقى واشنطن ومعسكرها وكل أعداء الشعب السوري المستفيد الأكبر من استمرار استنزاف سورية وإنهاكها لتصل إلى المؤتمر الدولي وهي بأضعف أحوالها..» «افتتاحية قاسيون/العدد 634»

الحل السياسي.. صراع برامج

إنّ الإعاقات الكبرى لانطلاق الحل السياسي تكمن كما سبق في حقيقة تراجع الوزن السياسي للسلاح في حال انطلاقه، وبالتالي حصر أوزان القوى المختلفة تبعاً لشعبيتها وامتلاكها لبرامج متكاملة في الجوانب الوطنية والديمقراطية والاقتصادية- الاجتماعية، وطرح هذه البرامج أمام السوريين ليختاروا بينها.. ومشكلة القوى المتشددة هي أنها خبأت حتى الآن برامجها الحقيقية تحت صوت الرصاص، وبتراجع هذه الأصوات ستظهر عورات برامجهم الليبرالية.. ومن هنا فإنهم يعرفون مسبقاً مدى«شعبيتهم» ويحاولون لذلك استباق نتائج العملية السياسية وفرضها على السوريين، وإزاحة كل من يقف في وجه هذه العملية. «إن تركيز المتشددين على كل ما من شأنه أن يعيق جنيف، أياً كانت الحجج والذرائع الظاهرية التي يبررون من خلالها تخوفهم أو عدم ثقتهم بجدواه، إنما يعكس في جوهره عدم امتلاكهم أية برامج حقيقية، سواء لحكومة الوحدة الوطنية المقبلة أو لكيفية إدارة المرحلة الانتقالية أو لشكل سورية المستقبل، ويعكس لدى جزء من هؤلاء خشية عميقة من خسارة موارد النهب القديمة أو المستجدة التي خلقتها الأزمة، وهم لذلك لا يراهنون على المستقبل ولكن على الحاضر الذي يتشبثون به بأقصى طاقاتهم..» «افتتاحية قاسيون/ العدد 623».

إن استبعاد الفقراء وممثليهم من الحوار القادم ومن الحل السياسي القادم هو شرط أساسي لتحقيق الخطة «ب»

قوى المعارضة وبرامجها

تعددت الأطر «المعارضة» خلال عمر الأزمة السورية، وتقلبت أحوال ومواقف العديد منها، فبعد انتهاء إمكانية التدخل المباشر تمّ تحييد مجلس اسطنبول من الواجهة، واستبدل بائتلاف الدوحة الذي قبل مؤخراً بالحل السياسي، وإن كان لا يزال يعبر في خطابه عن فهم مدد للحل السياسي يتركز على تسلمه للسلطة. وهذا الكيان من حيث برنامجه لا يختلف في النواحي الاقتصادية- الاجتماعية والديمقراطية عن النظام القائم، فكلاهما يتبنى الليبرالية الاقتصادية، وكلاهما يوافقان على قانون الانتخاب القائم حالياً ويعارضان قانون انتخابات الدائرة الواحدة النسبية، ويشتركان كذلك بعقلية الحزب القائد، ولا تبتعد هيئة التنسيق كثيراً عن التوصيف السابق، وإن كانت وضعت نفسها بموقع أفضل برفضها للتدخل الخارجي وللعنف، الرفض الذي عانى من هنّات وسقطات وعديدة..

وإن تركيز الحديث خلال الأشهر الماضية على «وفد موحد للمعارضة» وعدم القدرة على تحقيق ذلك حتى حينه، يعكس العديد من الحقائق.. من تخبط واشنطن وعدم قدرتها على تكوين معادل سياسي «وازن» لمشروعها التفتيتي، إلى الاختلاف الحقيقي العميق بين قوى المعارضة المختلفة، ليبقى خيار الوفود المتعددة هو الخيار المنطقي الوحيد حتى الآن..

أعداء «الإرادة الشعبية»

وإذا كان البحث عن وفد موحد للمعارضة تحت قيادة أمريكية مباشرة يهدف إلى إعادة خلق الأزمة من خلال الوصول إلى شكل من تحاصص النهب على أسس طائفية، فإن من بين الواقفين الأساسيين في وجه عملية إعادة التحاصص، كل من ائتلاف قوى التغيير السلمي والجبهة الشعبية للتغيير والتحرير وحزب الإرادة الشعبية، وعند هذا الحد يصبح من الطبيعي أن تتحول هذه الجهات إلى تقاطع لنيران الطرفين..

إن الهجوم على حزب الإرادة الشعبية في عمقه «هو ردٌ على خط سياسي تقدم بثبات طوال الأزمة ليخرب على النّاهبين في الطرفين «رسمتهم» لتحاصص جديد يستظل ببعض التغييرات الشكلية وفقاً للنموذج التونسي/ المصري، ويبقي كل ما عدا ذلك على حاله..»

«أصر حزب الإرادة الشعبية على رفض أوهام الحسم العسكري وأوهام الإسقاط، مستنداً في ذلك إلى فهم التوازنات الدولية والداخلية، وأصر لذلك على الحوار والحل السياسي مخرجاً نحو المعركة الحقيقية.. ففي معركة اليوم يقتل الفقراء بعضهم بعضاً ليقتسم المتخمون دماءهم. والحل السياسي لذلك، ليس سوى أداةً في إعادة الاصطفاف الذي يسمح بثورة حقيقية تغيّر النظام في سورية تغييراً جذرياً عميقاً سلمياً، تغييراً اقتصادياً سياسياً وديمقراطياً، تغييراً يعزز دور سورية الممانع للهيمنة الأمريكية ويرتقي بها إلى مستوى المقاومة..»

«رفض حزب الإرادة الشعبية منذ اللحظات الأولى الانقسام الوهمي بين «موالي» و«معارض»، واشتغل على فرز عميق، وطني واقتصادي- اجتماعي وديمقراطي، فرز يضع السوريين في مواجهة منظومة النهب والقمع التي ينتمي إليها الطرفان المتشددان وميليشياتهم من «شبيحة» و«ذبيحة»، فرز ينهي مراسم دفن الفضاء السياسي القديم، ويسمح للجديد بالولادة. الفرز الحقيقي الذي لم يكن يوماً إلا بين ناهبين ومنهوبين، بين الذين يعملون وينتجون، وبين أولئك الذين لا ينتجون لكنهم يسرقون تعب الآخرين، الناهبون الموزعون في كل الأطراف ويرتدون طرابيش مختلفة سياسية وطائفية وقومية، والمنهوبون المنثورون بعرائهم وفقرهم في بقاع سورية كلّها.. إن الهجوم على هذه الطريقة في فهم الأمور، أمر مبرر من الناهبين، فإذا المنهوبون أدركوا وحدة حالهم وجمعوا شتاتهم، فإن للناهبين طريقاً واحداً للهرب، هو المرور من خرم الإبرة..» «افتتاحية قاسيون/العدد 586»

فإذا المنهوبون أدركوا وحدة حالهم وجمعوا شتاتهم، فإن للناهبين طريقاً واحداً للهرب، هو المرور من خرم الإبرة

خلاصة أولية:

إذا كان التوازن الدولي في عام 2006 لم يسمح بترجمة انتصار تموز سياسياً، فإنّ التوازن اليوم لا يسمح فقط بترجمة الانتصارات ضد المشروع الأمريكي- الصهيوني على المستويات الإقليمية، ولكنه يسمح لهذه الانتصارات أيضاً بالتأثير على الميزان الدولي نفسه وتسريع تجسيده ضد المصلحة الأمريكية- الصهيونية..

ترسيم «حدود» الأزمة أم تجاوزها؟

يلعب التصعيد الميداني العسكري الذي نشهده في سورية في هذه الفترة الممتدة على تخوم العامين 2013 - 2014 والسابق للمؤتمر الدولي المفترض انعقاده في 22 من الشهر الجاري، دوراً محدداً يهدف إلى استباق نتائج المؤتمر وتحويله من فرصة لإيقاف التدخل الخارجي والعنف وإطلاق العملية السياسية إلى مائدة لتحاصص السلطة بين متشددي الطرفين مع الحفاظ على النظام القائم بجوهره الاقتصادي-الاجتماعي.

■ أسامة دليقان

معاناة السوريين المتزايدة منذ بداية الأزمة وصلت ذرى خطيرة جديدة مع أواخر العام المنصرم، مع القتل الوحشي الجماعي، فمن معلولا وعدرا العمالية، وعلامات الاستفهام العديدة حول ما حدث فيهما، وليس انتهاءً بعشرات الأرواح البريئة التي تزهق يومياً في حلب وريفها بين ناري «البراميل المتفجرة» من جهة و«قذائف جهنم» من جهة ثانية.

إنّ الحاجز الذي دأب على إقامته وزيادة علوه وسماكته كل أطراف الأزمة بات تكثيفاً رمزياً للأزمة المفروضة على المواطن السوري، بما يجسده من تقييد لحريته وعرقلة لتقدمه وبطئ قاتل يكبح حركته، وبلا مبرر منطقي في كثير من الحالات. فهُم يمهدون بتصعيدهم اليوم إلى أن يستغلوا جنيف غداً من أجل قوننة وشرعنة استمرار الحواجز القاسمة للسوريين عمودياً. إنهم يخططون لاستغلال المؤتمر وتحويله من فرصة للسلام إلى عملية «ترسيم حدود» بين المتشددين.

هذا ما يفسر على ما يبدو الاستعصاء والعرقلة المستميتة حول شكل تمثيل القوى المختلفة السورية والإقليمية في المؤتمر، ولاسيما المعارضة التي لم تعد سراً محاولات إقصاء أجزائها الأكثر جذرية من حيث البرنامج الاقتصادي–الاجتماعي والوطني العام بسبب تناقضه مع برنامج التحاصص الرجعي وإن لم تعلنه القوى الحاملة له من الطرفين. كما ويعلل عشق الطرفين المتشددين موضوعياً لبعضهما البعض، إذ لا يطيقان أن يحضر بينهما أو معهما أيّ «عزول» قد يعكر صفو غزلهما واتفاقهما هذا.

يلاحظ أيضاً وبالتوازي موجة موازية إعلامياً، وضمناً إعلام «الإشاعة». إذ أنّ السيل الكبير والمتقاطع من الإشاعات التي انهالات على المجتمع السوري مؤخراً، حاولت وتحاول النيل منه على مستوى جديد لإقصاءه ما أمكن عن عوامل وحدته الوطنية باتجاه فرض لغة «مكونات» ما قبل الدولة الوطنية، وفرض حدود عمودية تفرقه وترهبه حسب الدين أو الطائفة أو القومية.. إلخ، وهذا يدل على الطبيعة اللاوطنية المعادية للشعب للجهات المنظمة والممولة لمراكز بثه، سواء أكانت داخلية أم خارجية.

ولا يكتمل الفهم العميق لمشهد التصعيد في الساحة السورية اليوم، إلا كجزء من توتير ووحشية معممة إقليمياً وعالمياً، تعيد التأكيد على خطورة الموجة الجديدة من الفاشية، التي رغم أشكالها الجديدة تظل مغرقة في الرجعية لدرجة استعادة رموزها وسلوكها القديم في وحشيته ضد الإنسانية عموماً وضد الطبقة العاملة خصوصاً والعابر للحدود. إنّ القبضة الصفراء للطاعون الأسود هي ذاتها، سواءً بأصابعها الثلاثة في أوكرانيا، أو الأربعة في ميدان «رابعة العدوية».

في الحرب الدائرة في سورية، واستمرار قتل وخطف واعتقال ومحاصرة أكبر عدد ممكن من السوريين، من أجل صفقات تبادلهم السلعي بوصفهم «بضائع» بشرية، أو حتى التخلص من «فائض الإنتاج»، لتحقيق الربح الأعلى وضمان «إعادة إعمار» تطيل أعمار وكلائهم من الناهبين والفاسدين من الطرفين على حساب أغلبية السوريين من الفقراء والمنهوبين. لكن في حسابات التاريخ فإنّ هذه الأغلبية الطبقية ليست مسحوقة فقط، بل و«ساحقة» أيضاً، إن هي استطاعت الاستفادة من اللحظة التاريخية لتحول صفتها هذه من كمّية إلى نوعية. ونتائج المؤتمر الدولي بأسوأ الأحوال ستأخر هذه العملية إن خرجت بتحاصص وتغيير شكلي على حساب الشعب، وبأحسن الأحوال سوف تسرع هذه العملية في حال نجح المؤتمر في إيقاف التدخل الخارجي ووقف العنف، وإطلاق عملية سياسية سلمية.

«لا تقربوا الصلاة»!

ضجت وكالات الأنباء والمواقع الالكترونية يوم الجمعة الفائت 2013/12/27 بتصريح تبين أنه مجتزأ ومحرف لرئيس مجلس الأمن القومي الروسي نيكولاي باتروشيف لصحيفة روسيسكايا غازيتا الرسمية جاء فيه أن المسؤول الروسي، أو موسكو أو روسيا أو الكرملين، «يستبعد إمكانية عقد مؤتمر جنيف2 في موعده المحدد في 22 كانون الثاني 2014» وأنه «لن ننجح في عقد المؤتمر في الموعد المحدد أصلاً، ونحن نتقدم بصعوبة، وهناك أمور كثيرة مرهونة بإرادة وقدرة الولايات المتحدة ومجموعة دول أخرى على تمتين المعارضة وإقناعها بالمشاركة في هذا المؤتمر الدولي».

واتضح لاحقاً من خلال العودة للقاء الأساسي في الجريدة الروسية وترجمته أن صياغات تلك الوكالات والمواقع، وتناقلها دون تدقيق هو أمر متعمد ومقصود، ويندرج كالعادة في سياق الاجتزاء، كما اجتزاء الآية القرآنية «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» والاكتفاء بشقها الأول.

المقابلة، التي أجرتها الصحيفة الروسية بعنوان «روح التحدي» مع سكرتير الأمن القومي الروسي، تناولت التحديات الاستراتيجية التي تواجه روسيا وما هي الإجراءات المطلوب اتخاذها لتعزيز الأمن القومي الروسي، حيث تناول اللقاء ضمناً أسئلة عن الأزمة السورية وتقييم باتروشيف للوضع السوري.

وفيما يلي الترجمة الكاملة للسؤال والجواب الذي يتضح فيها السياق العام لإجابة باتروشيف التي تضع الاستبعاد مشروطاً بعوامل أخرى، وليس مطلقاً بحد ذاته، كما أنه ليس جازماً بالحديث عن جنيف2:

س: «إن تسوية الأزمة السورية هي من أهم قضايا الأمن الدولي اليوم، ما هو تقييمكم للوضع في سورية؟»

ج: «من حيث المبدأ يجب أن تبقى سورية دولة موحدة، وألا تتحول أراضيها إلى منطلق لتهديدات وهجمات إرهابية أو مكان لانتشار اسلحة الدمار الشامل، ولا يقل أهمية عن ذلك، منع تحول سورية إلى مقر دائم ورئيسي لتنظيم «القاعدة» والتنظيمات المتطرفة الأخرى.

إن الطريق لحل هذه المسألة يكمن في تسريع عقد المؤتمر الدولي حول سورية، والمشاركة البناءة لكل الأطراف في هذه العملية. وهذا هو، ما هدف إليه قرار مجلس الأمن رقم 2118 في 27/ أيلول/ 2013، الذي نص على وضع الأسلحة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية، وإزالتها.

ولكن التقدم إلى الأمام لا يجري بسهولة، حيث لم نتمكن من عقد المؤتمر وفق الجدول الزمني الذي كان مقراً في الأصل، إذ يتوقف ذلك إلى حد كبير على رغبة، وقدرة الولايات المتحدة، والدول الأخرى على توحيد المعارضة، وضبطها من أجل انعقاد هذا المحفل الدولي.

نحن ننطلق من ضرورة مشاركة اللاعبين كافة، الذين هم بطريقة او بأخرى على صلة بالأزمة السورية.

المعارضون السوريون غير قادرين بأنفسهم على صياغة أرضية مشتركة بشأن المسألة الرئيسية، ألا وهي المشاركة في المؤتمر. والعديد من الجماعات المسلحة التي يسيطر عليها المرتزقة الأجانب تراهن على استمرار القتال، ولذلك فإن جهود المجتمع الدولي غير مقبولة لديهم.

وبالرغم من ذلك ستواصل روسيا اتخاذ جميع التدابير الرامية إلى تنفيذ اتفاقيات جنيف، التي تم التوصل إليها في عام 2012، وهناك إمكانية لذلك، وروسيا تعمل بصبر مع جميع الشركاء الدوليين المؤثرين.

إن مبادرة الرئيس الروسي بوضع الأسلحة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية، ساعدت على تفادي التدخل العسكري في النزاع السوري من قبل الخارج. كما إن تطبيقها من شأنه أن يمنع وصول هذه الأسلحة إلى أيدي الجماعات الإرهابية، وهنا أذكر بأن روسيا لعبت دور الضامن لتنفيذ دمشق بشكل أمين للاتفاقيات التي تم التوصل إليها».

ثم تابع المسؤول الروسي حديثه عن بعض تفصيلات مسار إتلاف السلاح الكيمائي السوري.

ويتضح من هذا الكلام المنشور في الصحيفة أن باتروشيف لم يذكر جنيف2 لا بالاسم ولا بالتاريخ، حيث لا يتضح إن كان يتحدث عن 22 ك2 أم 12 تشرين الثاني كما كان مقرراً أو أية تواريخ سبق تحديدها للمؤتمر الذي يفترض به التمهيد لحل سياسي حقيقي للأزمة السورية..!

والسؤال مرة أخرى من أين أتت تلك الوكالات والمواقع بتأويلاتها الخاصة للتصريح المذكور ولماذا هذا التشويه والتحريف وقلة المهنية، إن لم نقل التضليل؟؟

■ نقلاً عن موقع «قاسيون»

جغرافيا الدم..

لايستدعي الأمر كثيراً من المتابعة حتى يرى المتابع ذلك الخيط الذي يربط بين ما يجري في العراق وسورية ولبنان هذه الأيام »اللقيس ودلالات الحدث - شطح وتوقيت الحدث – عدرا وتداعيات الحدث – الوضع في الأنبار وما كشف عنه الحدث» المشهد يبدو واحداً من حيث نزف الدماء، والتوظيف الإعلامي والسياسي باتجاه تفجير شرق المتوسط طائفياً، الأبواب باتت مشرّعة للولوج إلى الفوضى الشاملة...هل هناك من سيلجم؟

■ رمزي السالم

ديموغرافيا بلدان شرق المتوسط متشابهة، المشروع الدولي بخصوص المنطقة مشروع واحد، البنى السياسية الحاكمة والمعارضة تنتمي إلى الفضاء السياسي ذاته، وبالتالي منطق التفكير وزاوية الرؤية تكاد تتطابق أحياناً، والأمور تقاس بنتائجها، بغض النظر عن نوايا هذا الطرف أو ذاك!!؟

الأزمات «الأزمة» في بلدان شرق المتوسط أستدرجت الدم، والدم عمق الأزمة، الدم هنا يُراد أن يكون له «هوية» طائفية أو عرقية أو دينية، فاستحضر البعض من هنا وهناك ثقافة «أحادية الظلم والاستهداف».. فباتت هذه الأخيرة كتيار متناوب يفعل فعله في صنع وعي ارتدادي رجعي في بعض الأوساط، وفي كتابة أحد فصول التراجيديا الشرق أوسطية.

هذا الوعي الارتدادي الذي يساهم الجميع في ترسيخه اليوم من حيث يدرك أو لايدرك، يشكل المقدمة الأساسية لما هو أدهى وأخطر، يشكل بوابة فرض الانتماء الا ما قبل الوطني على الجميع، باعتبار أن الإنسان – المواطن كائن اجتماعي ولديه نزوع طبيعي للاحتماء في ظل تصدع بنية الدولة الراعي والحامي الافتراضي للجميع.

إذا كان شكل التطور التاريخي لبلدان المنطقة، من زاوية عدم إنجاز الدولة الوطنية لمهامها التاريخية تشكل الأرضية الموضوعية لتفجر مثل هذه الصراعات، فإن أدوات تعميق وترسيخ وقونتة هذه الإشكالية الموضوعية هي بالتأكيد تلك القوى التكفيرية الطائفية، التي دخلت على خط الأزمة والتي يتم توظيفها لإنهاك كل البنى القائمة، كما يريده المشروع الأمريكي – الخاص بالمنطقة.

بمعنى آخر إن ما يجري على كامل إقليم شرق المتوسط من استفحال شبح الإرهاب الآن في ظل التوازن الدولي الجديد، هي محاولة من القوى الفاشية في الإدارة الأمريكية، وعبر أدواتها الاقليميين أوالمحليين في كل بلد التحكم بشكل التطور اللاحق لكامل بلدان المنطقة قبل أن يتبثت التوازن الدولي الجديد بشكله النهائي ويعطي نتائجه الملموسة، وهي في جانب منها ضربة استباقية للحلول السياسية التي بدأت تلوح في الأفق، أي أنه التفاف على التوازن الدولي الجديد، فمن جهة هناك «تبريد» تهدئة ظاهرية للمواجهة المباشرة مع الخصوم، ومن جهة أخرى تسخين الجبهة معهم عبر الأدوات في هذا الإقليم الذي ربما يحدد المنتصر فيه اتجاه تطور الوضع الدولي خلال العقود القادمة.

ثنائي النفط، والطائفية:

إن أخطر ما في الوكيل المحلي هو استثمار تزاوج النفط والسلفية، فالأول بما له من قوة مادية، قادرة على توظيف الليبرالي والماركسي والقومي وشراء النخب، وتأمين الدفق الإعلامي في حربه المقدسة ضد الطرف الآخر، والثاني بما له من قوة معنوية، لتكتمل بذلك معادلة القوة في أية حرب مفترضة ذات طابع غرائزي.

ما يتناساهُ من يدور في فلك هذه المشاريع، أن محاولة تعميم الفوضى في المنطقة عبر الصراع الطائفي مصيرها الفشل لسببين اثنين على الأقل رغم كل الدم المقدس الذي يسفك:

- إنها تخالف منطق التطور التاريخي العالمي، وتناقض توازن القوى الدولي الجديد.
- إن شعوب المنطقة أثبتت وبالملموس عدم استعدادها للدخول في حرب عبثية كهذه، واذا كانت القوى الفاشية قد حققت اختراقات جزئية هنا وهناك، فإن السمة العامة للمزاج الشعبي ورغم كل الدمار الروحي الذي خلفته الأزمة هو الميل نحو حل الصراعات سلمياً.

المظاهرات ضد المسلحين!

من الظواهر شبه اليومية التي تشهدها تلك المناطق السورية الخاضعة لسيطرة المسلحين هي قيام تظاهرات شعبية ضد سلوك الجماعات المسلحة، وطريقة تعاطيها مع المواطنين، والممارسات الإرهابية التي تقوم بها، وأعمال العنف القذرة التي تمارسها، وخصوصاً في المناطق التي يكون للمسلحين الأجانب فيها حضور بارز، إن هذه الظاهرة الجديدة التي أصبحت إحدى مكونات المشهد السياسي الجديد في البلاد ينبغي استثمارها في الاتجاه الصحيح من كل القوى الوطنية في البلاد، فهي أحد المؤشرات على تصاعد المزاج الشعبي العام ضد ظاهرة العنف عامة، وهي في الوقت نفسه توافق مع ضرورة الذهاب إلى الحل السياسي، وهي دليل على رفض السوريين لمنطق التكفير والتطرف الديني الذي يشكل السمة الأبرز لتلك الجماعات المسلحة.

وعليه بات من الضروري التخلي عن سياسة العقاب الجماعي بحق المناطق التي سيطر عليها المسلحون والتي تم اللجوء إليها من قبل متشددي النظام، إن منطقاً جديداً في التعامل مع سكان تلك المناطق بات ضرورياً لأنه من شأن ذلك أن يضعف مواقع القوى المتطرفة أكثر، ويعزلها أكثر فأكثر.

وتؤكد هذه الظاهرة للمرة الألف إن فسح المجال للمبادرات الشعبية، في هذه المرحلة الحساسة من تطور الأزمة الوطنية التي تمر بها البلاد، فجماهير الشعب السوري التي دفعت أثماناً باهظة من جراء العنف السائد في البلاد ينبغي أن يكون لها كلمتها المسموعة لردع ظاهرة التكفير والإرهاب، باعتباره أمراً لابد منه للحفاظ على وحدة البلاد، والحفاظ على سيادتها الوطنية، وهذه الجماهير هي التي ينبغي الاعتماد عليها في طرد هؤلاء التكفيريين وبناء سورية الجديدة، عبر عملية تغيير جذري وشامل اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً.

عدرا.. !؟

بعد ان أصبح أهالي مدينة عدرا العمالية بآلافها المؤلفة أسرى إثر دخول وسيطرة الجماعات المسلحة على المدينة، وارتكابها فظائع أخذ بعضها شكلاً طائفياً مقيتاً، مدانة بكل المقاييس الوطنية والإنسانية، بعد ذلك وفي مبادرة شجاعة قام الأهالي بتحدي تلك الجماعات المسلحة والخروج من المدينة حيث كانت تلك الجماعات تريد بقاءهم لاستخدامهم كدروع بشرية تحتمي خلفها في مواجهة محتملة مع الجيش العربي السوري.

ومن جملة ما كشف عنه هذا الحدث هو ذلك الرباط الوطني والإنساني الذي كان سائداً بين معظم الأهالي، فتقاطعت الروايات حول تجاوز أبناء الضاحية العمالية لانتماءاتهم الضيقة من خلال تكافلهم وتضامنهم مع بعضهم البعض عكس ما كانت تريده قوى التكفير وعكس ما كانت تلمح له بعض وسائل الإعلام غير الرسمية، لابل إن بعض التقارير الإعلامية لعبت دوراً في تأجيج الموقف أكثر فأكثر حسب روايات الأهالي.

وحسب روايات أخرى من أبناء المدينة فإن الجهات الرسمية لم تقم بما هو مطلوب منها بالنسبة لأولئك الأهالي الذين نزحوا واستطاعوا الوصول إلى مدرسة «السواقة»، لا من حيث تأمين مستلزمات العيش اليومية، ولا من حيث طريقة تعامل بعض القائمين على إدارة العملية مع النازحين من إرهاب الجماعات المسلحة، بالإضافة إلى عدم تأمين وسائط نقل لوصول الأهالي إلى ذويهم ومعارفهم في الوقت المناسب، حيث تركوا في العراء.

إن المطلوب هو الإسراع في تسوية أوضاع من تبقى من الأهالي وإيصالهم إلى ذويهم ومعارفهم بالسرعة المطلوبة فبعضهم مازال في العراء والبعض الآخر ما زال في مدرسة السواقة التي تفتقر إلى ادنى مستلزمات الحياة، وفي ذلك ليس حق مشروع للأهالي فقط بل رد مباشر على جرائم الجماعات المسلحة بحق أهلنا.

أزمة «الغاز المنزلي»..

التواطؤ مع تجار السوق السوداء والتلاعب بالكميات والأسعار تعمّقها

عادت دمشق لتعاني مجدداً من نقصان مادة الغاز المنزلي، وبدأت ملامح أزمة هذه المادة بالظهور عبر الطوابير التي اصطفت على منافذ بيع الغاز الرسمية بالتزامن مع سيطرة المسلحين على منطقة «عدرا العمالية» بريف دمشق التي تحوي على عدد لا بأس به من مستودعات الغاز.

■ جيفارا الصفدي- قاسيون

مشهد طوابير الانتظار للحصول على المواد المدعومة بات مألوفاً للسوريين خلال الأزمة الحالية، فلو انفضت لفترة، عادت بعدها مجدداً سواء لأسباب ذاتها أو لأسباب جديدة ناجمة عن النزاع المسلح والحصار الاقتصادي الواقع على البلاد، وعلى هذا النحو، تفاجأ سكان دمشق بين ليلة وضحاها بعودة أزمة الغاز المنزلي بعدما انقضت لفترة وجيزة، وعودة الغش والتلاعب بالمادة من تجار الأزمات مرة أخرى.

اسطوانة الغاز بـ2400 ليرة

واشتكى مواطنون لـ«قاسيون» من «وصول سعر اسطوانة الغاز إلى 2400 ليرة سورية في السوق السوداء وسط صعوبة الحصول عليها من مراكز التوزيع الرسمية، عدا عن وجود بائعين قاموا بخلط الغاز بالماء، بينما قام آخرون بإنقاص وزن الاسطوانة الواحدة إلى النصف».

وبحسب الشكاوى، فقد «ازداد الطلب على مادة الغاز المنزلي مؤخراً وسط موجة البرد الأخيرة، حيث يعاني السوريون من صعوبة تأمين مازوت التدفئة مع انقطاع التيار الكهربائي المتكرر، ما دفعهم للجوء إلى الغاز كحل بديل للحصول على الدفء».

وأردفوا أن «تواطؤ مراكز توزيع الغاز مع تجار السوق السوداء عاد من جديد، حيث يقوم هؤلاء بتحميل الاسطوانات أمام الملأ من مراكز التوزيع وسط حشود المواطنين المنتظرين لساعات طويلة والتي قد تنتهي بعدم حصولهم على المادة لانتهاء الكميات القليلة في المراكز».

أعمال صيانة ومشاكل استثمارية

مجموعة عوامل ساهمت في عودة أزمة الغاز المنزلي، منها توقف معمل تعبئة الغاز في جمرايا لعدة أسباب منها مشاكل عقدية مع الشركة المستثمرة، حيث أكد وزير النفط والثروة المعدنية سليمان العباس توقف معمل تعبئة الغاز في جمرايا منذ فترة إثر أعمال الصيانة التي تجري في المعمل بصورة مؤقتة بحسب وصفه.

وأشار إلى أن «الشركة المستثمرة في جمرايا أكدت أنها تريد إجراء صيانة ضرورية مؤقتة وليس وقف التشغيل مع إعادة تعويض النقص في نهاية العقد، ولذلك طلبنا إلى المعنيين في شركة محروقات إيجاد صيغة ودية خلال هذه الفترة المذكورة لحل هذا الموضوع».

ولم ينف العباس وجود مشاكل عقدية مع الشركة المستثمرة لمعمل الغاز في جمرايا، حيث نوه إلى أن «أي مشكلة عقدية مالية يمكن حلها ودياً».

تضارب رسمي في العلن

واستبعد العباس نقصان تدفق الغاز إلى دمشق في 24 كانون الأول الماضي رغم بدء بوادر الأزمة لدى كثير من المواطنين، مؤكداً «جهوزية الوزارة لمواجهة الأمر عبر رفع طاقة التعبئة في وحدة القطيفة إلى استطاعتها العظمى، وشركة آبار إضافة إلى المباشرة في التعبئة في منطقة البجاع بالقرب من الصبورة» مشيراً إلى أنه «هناك وحدة تعبئة في القطيفة تنتج نحو 10 آلاف أسطوانة يومياً ووحدة أخرى لشركة آبار تنتج بحدود 10 إلى 12 ألف أسطوانة».

حديث العباس جاء بعد أكثر من 20 يوماً من تصريح لمدير غاز دمشق وريفها سمير الدنب، الذي أكد وقوع الأزمة، قائلاً إنه «هناك صعوبات كبيرة تعترض إنتاج اسطوانات الغاز في الفترة الحالية، ترتبط بالأوضاع الأمنية على طريق دمشق– حمص، حيث أدى انقطاع الطريق إلى توقف قدوم الصهاريج المحملة بالغاز السائل من بانياس إلى وحدات التعبئة بريف دمشق، وتصل كميات محدودة عبر الصهاريج من حقل حيان، كما نسعى حالياً إلى استيراد الغاز السائل من لبنان إذا استمر الوضع على حاله».

وأردف إن «انقطاع الكهرباء لفترات طويلة يعيق عمل وحدات الغاز» مشيراً إلى أن «القدرة الإنتاجية لمعمل عدرا كانت تصل إلى 60 ألف اسطوانة عبر ثلاث ورديات، وانخفضت طاقته الإنتاجية إلى حدود 20 ألف اسطوانة قبل أن يتوقف بشكل كامل، ليتم التوجه إلى الوحدات المتنقلة وأولها كانت وحدة تعبئة جمرايا بطاقة إنتاجية تتراوح بين ستة آلاف بالحد الأدنى إلى حوالي 25 ألف اسطوانة يومياً».

وبحسب الدنب فإنه «يتم العمل على افتتاح وحدة تعبئة جديدة تنفذها محافظة دمشق باسم بجّاع على طريق قدسيا بدمشق، بطاقة إنتاج 10 آلاف اسطوانة يومياً، كما يتم التخطيط لتجهيز وحدة تعبئة جديدة في منطقة الجديدة إضافة إلى وحدة تعبئة في القنيطرة تتبع لفرع دمشق وريفها».

استمرار أزمة تأمين الغاز المنزلي في سورية بسبب النزاع المسلح والحصار الاقتصادي وتواطؤ بعض مراكز توزيع الغاز مع تجار السوق السوداء والتلاعب بالكميات والأسعار

انخفاض الاستجرار أكثر من 60 %

وبعد حوالي 4 أيام من حديث وزير النفط، عاد مدير المؤسسة العامة للخزن والتسويق حسن مخلوف ليؤكد وجود نقصان في الغاز المنزلي عبر تصريح صحفي، وقال إن «الازدحام الحاصل أمام منافذ ومراكز بيع اسطوانات الغاز يعود إلى انخفاض نسبة استجرار المادة من وحدة جمرايا حيث كانت المؤسسة توزع عبر منافذها أكثر من 1600 الى 1700 اسطوانة غاز يومياً ولكن اليوم أصبحت كل أربعة إلى خمسة أيام ليتم بيع 1600».

وأردف مخلوف أن «سبب ايقاف استجرار المادة من وحدة جمرايا يعود إلى وجود خلاف بين وزارة النفط والشركة المستثمرة لوحدة جمرايا الأمر الذي انعكس فوراً على الطاقة الإنتاجية للوحدة».

وبدورها، أكدت لجنة محروقات ريف دمشق في تصريحاتها، انخفاض نسبة استجرار الغاز من المستودعات إلى أكثر من 60 % ، وأشارت إلى أن «الوحدات الإدارية بريف دمشق انخفض استجرارها لاعتمادها على وحدة غاز جمرايا فقط وخروج مستودعات عدرا من الخدمة».

وأضافت اللجنة بأن «أكثر من ثلثي الوحدات الإدارية بريف دمشق تنتظر دورها لاستجرار المادة من وحدة جمرايا «..» الأمر الذي فتح مجالاً أمام ضعفاء النفوس ليستغلوا نقص المادة ليتاجروا بها».

انتهاء الأزمة «إعلامياً»

وبعد يومين من تأكيدات وجود الأزمة رغم استبعاد حدوثها من قبل وزير النفط، انتهت أزمة الغاز المنزلي «إعلامياً» فقط بعد أن أخذ الموضوع كثيراً من الأخذ والرد، فرغم استمرار الشكاوى حول رفع تجار السوق السوداء لسعر اسطوانات الغاز، وعدم قدرتهم الحصول عليها عبر المنافذ الرسمية، قال مدير عام شركة «محروقات» محمود كرتلي إن «مركز تعبئة الغاز في جمرايا عاود إنتاجه الطبيعي بعد توقفه لمدة يومين فقط بسبب أعمال الصيانة» مؤكداً «عدم التخوف من توفير المادة لمراكز التوزيع ولاسيما أن الوحدات تعمل حالياً بطاقتها القصوى لإنتاج المادة لتغطي احتياجات دمشق من المادة التي تقدر بـ50 ألف أسطوانة» يومياً.

وبدوره، قال عضو المكتب التنفيذي في محافظة دمشق لقطاع التموين والتجارة الداخلية في محافظة دمشق عدنان الحكيم إن دمشق تشهد «انفراجاً كبيراً» على صعيد تأمين مادة الغاز للمواطنين وبالسعر الرسمي 1100 ليرة سورية، نافياً كل شكاوى المواطنين.

وأشار الحكيم إلى أنه يتم حالياً إنتاج 25–30 ألف أسطوانة غاز عبر ثلاث وحدات تعبئة، وأن الجهود متواصلة من المحافظة لتأمين أي طلب متزايد وحاصل على المادة، مؤكداً «أنه تم تخصيص 2500 أسطوانة غاز توزع يومياً بموجب جدول تم إعداده من مديرية التجارة الداخلية وحماية المستهلك بدمشق حيث يشمل جميع أحياء دمشق على أن يتكرر التوزيع بكل منطقة حسب الجدول كل 15 يوماً لمرة واحدة وبكمية 2500 أسطوانة غاز».

وحول حصول بعض المواطنين على اسطوانات غاز خفيفة الوزن، أكد مصدر في وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك لـ«قاسيون» أن «هذا التصرف غير قانوني وهو ناجم عن تلاعب الموزعين والبائعين، فلا يوجد أي توجه بخفض وزن اسطوانة الغاز نهائياً» مشيراً إلى أن «أي شكاوى بهذا الخصوص، تتم مصادرة الاسطوانات من البائع أو الموزع وينظم به ضبط، ويتم تحويله إلى المحكمة المختصة».

لا يموت حق

المحامي سالم كلاس

محكمة الإرهاب

ينص القانون الناظم لعمل المحكمة الخاصة بقضايا الإرهاب على أن تحدث محكمة تختص بالنظر في قضايا الإرهاب مقرها دمشق، ويجوز عند الضرورة إحداث أكثر من غرفة بقرار من مجلس القضاء الأعلى.
كما تؤلف المحكمة من ثلاثة قضاة كل منهم بمرتبة مستشار، رئيس وعضوين أحدهما عسكري، وتتم تسميتهم بمرسوم بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى. وأيضاً يسمى قاضي التحقيق بمرسوم بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى ويخول إضافة إلى صلاحياته بصلاحيات قاضي الإحالة التي تنص عليها القوانين النافذة.
ويمثل الحق العام لدى المحكمة نيابة عامة خاصة بها يسمى رئيسها وأعضاؤها بمرسوم بناء على اقتراح مجلس القضاء الأعلى. تختص المحكمة المحدثة بالنظر في جرائم الإرهاب وفي الجرائم التي تحال إليها من النيابة العامة الخاصة بالمحكمة.
ولا تنظر المحكمة بالحقوق والتعويضات المترتبة عن الأضرار الناتجة عن الجرائم في الدعاوى التي تفصل بها، يشمل اختصاص المحكمة جميع الأشخاص من مدنيين وعسكريين وتخضع الأحكام الصادرة عن المحكمة للطعن أمام دائرة خاصة، تشكل بمرسوم في محكمة النقض، ونص القانون أيضا على أنه لا تخضع الأحكام الغيابية الصادرة عن المحكمة لإعادة المحاكمة في حال إلقاء القبض على المحكوم عليه إلا إذا كان قد سلم نفسه طواعية، كما أتت المادة السابعة من القانون واضحة بقولها: مع الاحتفاظ بحق الدفاع لا تتقيد المحكمة بالأصول المنصوص عليها في التشريعات النافذة، وذلك في جميع أدوار وإجراءات الملاحقة والمحاكمة.
ونص القانون أيضاً على أن تنقل إلى المحكمة المحدثة دعاوى الإرهاب التي هي قيد النظر أمام سائر المحاكم بحالتها الراهنة، وختم القانون المذكور بالعبارة الكلاسيكية: ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعتبر نافذاً من تاريخ صدوره.
بدون شك إن البلاد تمر بمرحلة استثنائية، وهذا يتطلب إجراءات مناسبة من الدولة لحماية كيان الوطن وحماية الحقوق العامة والخاصة، ولكن ما نتمناه جميعاً أن تكون الإجراءات في المحكمة الخاصة بقضايا الإرهاب أسرع بكثير مما هي عليه الآن وأن يتم تفعيل المادة السابعة من قانون المحكمة «بعدم التقيد بالأصول المنصوص عنها في التشريعات النافذة، وذلك في جميع أدوار وإجراءات الملاحقة والمحاكمة» بشكل يضمن مصلحة المدعى عليه، ويحفظ مبدأ قرينة البراءة، وأن كل متهم بريء حتى يدان بحكم قضائي مبرم. طالما أن قانون المحكمة قد ابتدأ بعبارة «بناء على أحكام الدستور».

داعل والمعاناة «المركبة»

مع كل يوم من استمرارية الأزمة تتضاعف معاناة المواطنين وتزداد تعقيداً فهي ثلاثية الأبعاد... المعاناة من المسلحين وممارساتهم، المعاناة من الجهات الرسمية وممارساتها، المعاناة من تفاعلات الاثنين مع الأزمة الاقتصادية الاجتماعية وخاصة المعيشية اليومية منها. ناهيك عن أشكال النشاط الاقتصادي الأخرى، والتي نتج عنها ارتفاع كبير في الأسعار أكل الأخضر واليابس في غالبية أنحاء الوطن.

■ مراسل قاسيون- درعا

مدينة داعل التابعة لمحافظة درعا التي تضم حوالي 40 ألفاً ممن بقي من أهلها مع المهجرين إليها وخاصة من مدينة نوى، تعاني من حصار مستمر أكثر من عام من الجهات الرسمية بسبب تواجد المسلحين قريباً منها...

المعاناة والحصار

ورغم مواقف أهلها الشجاعة، والتي آخرها في الأسبوع الماضي حيث هجم الأهالي العزل على المسلحين وطردوهم ورغم ذلك يعاملون بعنف وكأنهم حاضنة للمسلحين.
فتطال الإجراءات والممارسات التعسفية المجحفة جميع الأهالي وذلك بمنع دخول المواد الغذائية إلى المدينة، في حين تباع سبعة أرغفة بمبلغ 125 ليرة والليتر الواحد من المازوت ما بين 200 و250 ليرة سورية.. كما أنه رغم مطالبات الأهالي المستمرة وعلى المستويات كافة بإنهاء معاناتهم وفك الحصار إلا أن الاستجابة لم تحصل مما دفع الأهالي لفقد الأمل وهذا ساهم في زيادة التوتر والمعاناة.

30% من الأراضي خارج الزراعة

ومن جهة أخرى تشكل الزراعة المصدر الأساسي لأبناء المنطقة، وقد خرجت المنطقة الجنوبية منها باتجاه تل عران والمنطقة الغربية باتجاه تل فيت من الزراعة، وتقدران بنسبة 30% من الأراضي الزراعية فيها.
ويضاف إلى ذلك ارتفاع أسعار المستلزمات الزراعية وتكاليفها من حراثة وبذار وري وغيرها.. فقد وصلت كلفة حراثة الدونم مع البذار حوالي 1500 ليرة سورية، وربة واحدة حوالي 4800 وحصاد 1500 ليرة ومكافحة 300 ليرة، ويضاف لها أجور زيوت وعمالة ونقل لتصل تكلفة الدونم حوالي 10 آلاف ليرة والدونم يعطي وسطياً 300 كلغ، وبالأسعار الحالية تكافئ التكلفة أي يذهب جهد الفلاح كاملاً.. لكن الفلاح لا يستطيع العيش إلا بالزراعة ولو أدى ذلك حتى إلى خسارته.. لكنه يبقى محافظاً على الرمق الأخير من الحياة هذا إذا لم يتعرض للقصف والعنف.
إن أهالي داعل يكررون مطالبتهم بفك الحصار عنهم وتوفير مستلزمات المعيشة اليومية... وهم يستحقون أكثر من ذلك.

العنف يطال السقيلبية...

وبعض الأهالي يبيعون «أثاث منازلهم» لسد لقمة العيش

■ مراسل قاسيون- حماة

تضم مدينة السقيلبية وما حولها أي منطقة الغاب حوالي 200 ألف نسمة من أبناء الوطن، وبسبب تركيبتها المجتمعية الرافضة للعنف تتعرض باستمرار للقصف، حيث سقطت في الأسبوع الماضي 5 قذائف هاون في يوم واحد وهي تحت رحمة الاعتداءات المتكررة للمجموعات المسلحة والقوى التكفيرية، كما تعاني من انقطاع طرق المواصلات المباشرة إلى مدينة حماة.
يقابل ذلك معاناة الأهالي من ممارسات البعض في ما يسمى «اللجان الشعبية» وفي «جيش الدفاع الوطني» والمداهمات المستمرة والتحريض المعاكس والدفع نحو التسلح... وخاصة أن هناك تجارب حدثت في المنطقة مؤخراً، حيث تقوم المجموعات المسلحة بالاجتياح باسم التحرير ونهب ما خف وزنه وغلا ثمنه، وتقوم الجهات الرسمية «بتطهيرها» لتأتي عناصر من اللجان الشعبية وتقوم بقشط كل شيء ونهبه..
ويعيش المواطنون تحت رحمة الرعب نتيجة القصف المتبادل، أما أسعار المواد الغذائية فلا ضابط لها رغم انخفاضها النسبي في الآونة الأخيرة فكلغ الواحد للبندورة بـ 150 ليرة سورية على سبيل المثال، ومستلزمات الحياة الأخرى تماثلها، والحذاء الصيني الذي كانت قيمته 250 ل.س أصبحت بما تزيد عن الألف..
وقد التهمت الأسعار كل المدخرات بل وصار بعض المواطنين يبيعون من أثاث منازلهم، فهم يحتاجون شهرياً ما بين 60 . 70 ألف ليرة لتأمين مستلزمات المعيشة فقط.
وقد أنعكس الوضع الأمني والمعيشي على آرا الناس ومواقفهم بشكل مباشر، حيث باتت أغلب الفئات الشعبية تطالب بالاستعجال بالحل السياسي ووضع حد للمأساة الإنسانية التي تمر بها البلاد.

البوكمال... بين «النصرة» و«داعش» والمعاناة اليومية

■ مراسل قاسيون- ديرالزور

كانت مدينة البوكمال التابعة لمحافظة دير الزور من المدن الأولى التي سيطر عليها المسلحون وخاصة ما يسمى «لواء الله أكبر»، ثم جاءت «جبهة النصرة» وسيطرت على أجزاء كبيرة من المنطقة وحقول النفط، ومؤخراً دخلت داعش على الخط واعتقلت «صدام الرختية» والذي أصبح اسمه «صدام الجمل» قائد «لواء الله أكبر»، والذي بايعها ووضع نفسه تحت تصرفها، ويقوم بسحب السلاح من بعض جماعته وتسليمه لها.
بينما تسيطر «جبهة النصرة» على المدينة، وأقامت هيئتها الشرعية في المبنى المخصص للمحكمة الرسمية، وسيطرت على بقية مباني الدولة وتحاول تحسين «صورتها» بضبط الأمور والتدخل بكل شيء، حيث حلت المجلس المحلي وشكلت بديلاً عنه.
ولعل أهم معاناة إضافة لهيمنة المسلحين والتكفيريين التي تكتم أنفاس المواطنين هو الانقطاع المستمر للكهرباء ولفترات طويلة آخرها لمدة أحد عشر يوماً. وهذا له انعكاساته الخطيرة على مختلف التفاصيل اليومية للمواطنين وحياتهم وأيضاً على صحتهم مع ما تسببه الحراقات البدائية لتكرير النفط من تلوث.
أما أسعار المواد الغذائية التي تمس المعيشة اليومية للمواطنين فهي أيضاً فوق الريح، فقد وصل على سبيل المثال سعر كغ الواحد للزهرة والملفوف إلى 200 ليرة وطبق البيض إلى 750 ليرة سورية.
لقد بات المواطنون يريدون الخلاص من هيمنة المسلحين وممارساتهم القمعية، ويؤيدون حلاً سياسياً يكفل لهم أمنهم ومعيشتهم وكرامتهم وبقاءهم على قيد الحياة أمام التهديدات المباشرة لهذه الحياة من المسلحين بشتى مكوناتهم، وبالتلوث ونقص الغذاء وارتفاع أسعاره. وكان من المقرر أن تقوم مظاهرة ثانية يوم الجمعة 2014/1/3 من المواطنين ضد المسلحين احتجاجاً على المعاناة القاسية ولكنها لم تتم بسبب الجو الإرهابي الذي فرضه المسلحون على المدينة.

حصار «وهمي» لمحافظة الحسكة

وارتفاع الأسعار

يثير منظر «البطيخ الأحمر» الذي تبيعه بعض المحلات في مدينة القامشلي عشية عيد رأس السنة الكثير من التساؤلات حول ماهية الحصار المفروض على محافظة الحسكة في ظل أزمة البلاد، وتكشف جولة على أسواق المدينة توفر كامل المواد الغذائية والطبية والخدمية بشكل يفوق الطلب ولكن بأسعار جنونية.

■ قحطان العبوش

تعكس الأسعار المرتفعة في المحافظة مفهوماً جديداً لحصار المدن يتضمن توفر كل المواد الأساسية والكمالية وفوق الكمالية بغض النظر عن أي ظرف سياسي أو عسكري، وهو ما يمكن ملاحظته في سوق يبيع «البطيخ الأحمر» في فصل الشتاء.

بورصة الأسعار..

تتوفر في أسواق القامشلي كل أنواع المواد الغذائية من زيوت وسكر وحبوب وبقوليات ومعلبات ولحوم وبيض وغيرها، والسعر المحدد لكل مادة يتغيّر وفقاً لسعر الدولار وحالة الطقس والمبالغ التي يدفعها التجار على الطرق لضمان وصول البضائع، وهذه الأسعار بأفضل الظروف تزيد بنسب مختلفة عن الأسعار الرسمية أو أسعار أسواق العاصمة.

وخلال أسبوع من متابعة الأسعار تبيّن أن المواطن يشتري من البائع النهائي كيلو سكر أبيض بسعر 150 ليرة، ويشتري صحن البيض بسعر 750 ليرة، وكيلو الفروج الحي بـ 450 ليرة، وليتر الزيت النباتي بـ 200 ليرة، وكيلو البندورة والبطاطا بسعر 170 ليرة، فيما وصل سعر كيلو البرتقال إلى 100 ليرة.

والأسعار السابقة ليست بأعلى مستواها، ووصلت لضعفي ما وصلت إليه الآن في وقت سابق، ويقول التجار الرئيسيون بسوق القامشلي إن المبالغ الكبيرة التي يدفعونها على الطرقات كأجرة شحن مؤمن تتحكم بالأسعار بشكل رئيسي ولا سيما بعد استقرار سعر صرف الدولار.

تحرير الأسعار يطال الدواء

في حين لا يكتفي الصيدلي بإضافة زيادتين رسميتين لسعر الدواء أقرتهما وزارة الصحة بنسب مختلفة، بل يضيف بشكل روتيني نسبة 10 بالمئة على كل علبة دواء كتكاليف شحن إضافية تفرضها مستودعات الأدوية في فاتورة المبيع.

إلا أن الحال تبدو جيدة مقارنة مع كثير من أصناف الأدوية غير محددة الأسعار بحجج كثيرة منها أن المعمل خارج الخدمة، وهذه الأصناف تباع بشكل حر وترتبط بعوامل الدولار والطقس والطريق.

الغياب شبه الكامل لسوق نظامية أسعارها محددة وفق لوائح رسمية تصدر عن وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك ترك المواطنين تحت رحمة سياط السوق السوداء وأسعارها المرتفعة المحررة والتلاعب بالمواد كماً ونوعاً على مرأى من الجهات المختصة

بسطات المحروقات..

ترسخت في المحافظة منذ نحو عامين سوق جديدة للمحروقات لا ترتبط بأسعار المحروقات وأنواعها التي اعتاد عليها السوريون، فمن ناحية الإنتاج تعمل آلاف العائلات في الريف على تكرير النفط واستخراج البنزين والمازوت منه بطرق بدائية تعتمد على التبخير والتقطير بما تحمله من مخاطر، ومن ناحية البيع لا تخلو أي زاوية من بسطات المحروقات إن صح التعبير.

ومن ناحية الأنواع يوجد البنزين «السوري» المهرب من دمشق بسعر 250 ليرة سورية وكان قبل أشهر قد وصل لسعر 500 ليرة سورية، ولا يباع هذا البنزين في محطات المحروقات لكنه لم يغب يوماً عن المحافظة، إضافة للأنواع التي يكررها الأهالي من بنزين «مكرر» بسعر 100 ليرة، وبنزين «أول حرقة» بسعر 150 ليرة، وبنزين يباع في بعض محطات الوقود بسعر 75 ليرة، وهذه بعض الأصناف وليس جميعها، لكن جميعها ماعدا «السوري المهرب» من دمشق تعد رديئة وتتسبب بأعطال للسيارات.

علانية السوق السوداء!

وعند بسطات المحروقات تباع أسطوانات الغاز بسعر يتراوح بين أربعة وخمسة آلاف للأسطوانة وزن 22 كيلو، ولا يوجد أي منفذ رسمي في المحافظة لبيع أسطوانات الغاز، لكن بسطات المحروقات استطاعت أن تغرق السوق بهذه المادة.

وفي ظل غياب شبه كامل لسوق نظامية أسعارها محددة من المؤسسات العامة ووزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، وأيضاً في ظل غياب الرقابة والمحاسبة، تجد السوق السوداء نوعاً من الشرعية تكسبها مزيداً من التطور والتوسع وزيادة المعروض والتحكم بالأسعار وتحريرها وتحقيق أرباح خيالية عبر استغلال حاجة المواطنين الماسة لتأمين المستلزمات المعيشية.

من الذاكرة

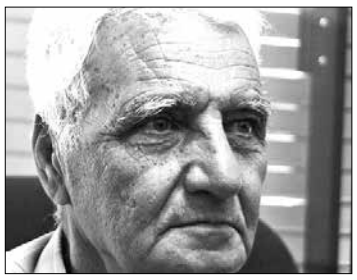

■ محمد علي طه

زالوا.... وما زالوا!

أسماء كثيرة تتزاحم ملء الخاطر والوجدان ثم تتوارى خلف ستار النسيان، أسماء لامست قلوبنا متصدرة- حينها- أخبار المجتمع... أسماء قد لا تعني شيئاً مهماً لمن لم يعاصرها، ومنها كمثال:

لورد كاش وماري جبران وإيليا بيضا وسري طنبرجي... أو أفاديس وعزت قرشاي ومروان دردري... ومحمد الزول وصائب العظم و... أسماء لفنانين ورياضيين ومفكرين وغيرهم وبالإضافة إلى ذلك، فلكل واحد منا أسماء لأصدقاء ومعارف، وسأقصر حديثي اليوم على ثلاثة أسماء من محيط الجيران في «الزينبية» وهي حارتنا على سفح جبل قاسيون، وأحسب أن لدى القراء الأعزاء أسماء «مشابهة» من حاراتهم ستثير بعضاً من ذكرياتهم القديمة:

- جارنا أبو خلف بجسده الضخم وقنباره الواسع ورجله العرجاء، ولسانه القادر على الأخذ والرد، يعمل ببيع القماش في دكانه التي كانت أشبه بمكتب استعلامات لمعرفة آخر أخبار السياسة والحرب، خلال الحرب العالمية الثانية، فهو مواظب على الاستماع لمحطة الشرق الأدنى «لندن لاحقاً» فقد كان انكليزي الهوى، وما زلت أذكر وأنا برفقة والدي حماسه للحلفاء ضد هتلر ودول المحور.. في نقاشاته الحامية مع الجيران أمام دكانه!

- جارنا أبو يوسف المكلف بتوزيع المواد التموينية لأبناء الحارة خلال الحرب العالمية الثانية، وأذكر بيته الذي كان مركز عمله ومستودع مواده، وأذكر تقاطر الناس لاستلامها بموجب وثيقة رسمية يحملونها، ومن هذه المواد الخبز المعروف وقتها باسم خبز «الوسيقة» وهو بحجم خبز الأفران إلا أنه «يمتاز» بمحيطه السميك ووسطه المملوء بالنتوءات على شكل رؤوس الأصابع... أما السكر الأحمر فقد كان يوزع شبه سائل ضمن تنكة معدنية، ننشر محتوياتها على شرشف في ساحة الدار ليجف ومن ثم نفركه ونضعه في قطرميز زجاجي.

- جارنا أبو شهاب وهو شاب قصير القامة محدودب الظهر ومع ذلك فهو مليء بالحيوية يلف رأسه «بسولك» أحمر، وشارباه يغطيان نصف وجهه. يبيع «التسقية» شتاءً والليموناده صيفاً... وأخبار رجولته معروفة وبخاصة نخوته في مساعدة لاجئين فلسطينيين وفدوا إلى حارتنا عام 1948. واليوم يتراءى لي وهو يقف أمام جدار حجري قديم وأتذكر عبارة مخطوطة على الجدار «كل حال يزول» وبالفعل فقد زال الجدار... والدكان.. والآثار القريبة وكثير من معالم دمشق وبيوتها الرائعة على أيدي تجار العقارات المدعومين من مراكز الفساد... وزال جارنا أبو شهاب!

«دقيقة صمت».. ع

■ إعداد محرر الشؤون الاقتصادية

الحرب دائما مقولة كبيرة تطوي خلفها الكثير من العناوين الرئيسية وتفرعاتها التي قد لا تنتهي، والتي تحتاج كل منها مع مرور عام «وقفة» وما يشبه دقيقة صمت أو سكون لإيقاف الجري وراء كل تفصيل راهن، وإجراء المراجعة الضرورية.. التقييم الذي تحاول «قاسيون» أن تفعله بشكل دائم، حيث ننتزع من الواقع أقسى التوصيفات بعد أن نجردها من كل «الغشاوة» التي يحاول البعض أن يغطيها بها، معتمدين بذلك على رؤية سياسية ثابتة مقولتها الراهنة في الأمد القريب أن الحرب مقتل لهذه البلاد وأبنائها الحقيقيين أينما اصطفوا في طرفي الصراع، ومرتع لطغاتها والمهيمنين على ثرواتها والمتربصين بها أيضاً أينما تواجدوا.. في هذه المرحلة من الضروري تحميل المسؤوليات بدقة لتحديد أعدائنا الحقيقيين وأدواتهم لأن هذا يبدو الآن الجزء الأصعب من المهمة في ظل التضليل الكبير الذي نعيشه، تحضيراً للعمل اللاحق..

2013: أين وصل أغلب السوريين وأقلهم؟

سورية اقتصادياً خلال عام، عناوين كثيرة وتفصيلية ولكن يمكن تكثيفها بالتردي الاقتصادي الموضوعي الناتج عن الحرب وأثره على الإنتاج والمنتج السوري من جهة، والسلوك الذاتي السلبي لإدارة الاقتصاد السوري والقرارات المتخذة في السياسة الاقتصادية من جهة أخرى، والتي يتضح سيرها وفق مصالح القوى الرئيسية الفاعلة في الاقتصاد السوري، وهي قوى السوق بكل نشاطاتها ومواقعها، نشاطاتها الفاسدة بشكل مشروع كالربح الاحتكاري لكبار التجار ولقطاعات كبرى كالاتصالات، والفاسدة بشكل غير مشروع كنهب المحروقات والمضاربة على الليرة والسمسرة على العقود والاتفاقيات في القطاعات الهامة وغيرها..وبكل مواقعها أي سواء داخل جهاز الدولة المستفيدة من سلطاتها التنفيذية أو على هامشه المستفيدة من علاقاتها المستمرة معه ونهبها التاريخي منه، أو في المجتمع أي قوى السوق وكبار التجار.

أين وصل السوريون؟

- **6،3 ملايين نسمة:** عدد المهجرين داخلياً أي أكثر من مليون عائلة وفق متوسط العائلة السورية..
- **3،4 ملايين نسمة:** عدد المهجرين في الخارج.
- نصف السوريين فقراء: 11،5 مليون فقير، بينهم حوالي 7 مليون يعيشون على خط الفقر، و 4 ملايين في خط الفقر المدقع بحسب مديرة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في دمشق في الشهر العاشر من 2013.
- **2،5 ملايين عاطل عن العمل:** وهم نصف القوى العاملة السورية.

أين وصل بعضهم الآخر؟

بالمقابل صنفت قائمة مجلة «فوربس– الشرق الأوسط» سورية في عام 2013 الخامسة من حيث تركز الثروات في الشرق الأوسط والأولى بعد دول الخليج العربي النفطية.. حيث تأتي بعد كل من السعودية – الإمارات– الكويت – قطر، وهو تقدم عن عام 2012، وهذا أمر طبيعي فثمن فقر الأغلبية يكسبه أقلية.

- **205:** عدد أثرياء سورية بقيمة ثروة بلغت 22 مليار دولار.
- **0،005%:** نسبتهم مع عائلاتهم من السوريين.
- ثروتهم تقريباً ضعف الناتج الوطني الإجمالي المقدر لعام 2013 بحوالي «12 مليار دولار».

أخذنا جانباً رئيسياً من التأثيرات الاقتصادية للحرب، وهو أثرها على فقر البعض وثروة آخرين، لأهمية هذا الجانب أولاً، ولأنه يرتبط تحديداً بالأدوات في السياسة الاقتصادية التي تنقل فيها الحرب الأغلبية إلى مواقع الجوع والفقر والأقلية إلى مواقع الثراء.. وكان لاستكمال السياسات الاقتصادية الليبرالية دور كبير في هذا، وهو ما سيدفعنا للحديث عن سياسة الحكومة خلال العام الماضي والتي انتهت بمنع أي تغيير ضغط الواقع باتجاهه واستمرار سياسات تحويل الحرب إلى «جنة النهب»..

سياسات.. في تسريع تدهور الليرة

حاكم المصرف المركزي «أديب ميالة» تحول إلى «رمز» للسياسة النقدية التي أثبتت قدرتها على دهورة الليرة السورية إلى حد أبعد من حدود مقدرة الحرب.. ولذلك لن يفلح «تلميع المشحور»!! الذي حاولت أن تقوم به إحدى الفضائيات العربية في لقائها الأخير مع «الحاكم» لتبييض صورة السياسات النقدية في سورية ومصلحة من يقف وراءها..وفي جردة لهذه السياسة خلال عام لدينا العناوين التالية:

مساعدة السوق السوداء

أكيل إلى السوق السوداء أسوأ النعوت من الحكومة وإعلامها الرسمي والقائمين على السياسة النقدية، بينما كانت السياسة النقدية المتبعة والمدافع عنها أهم حلقات دعم السياسة النقدية، والتي أدت بنهاية المطاف أن يلحق سعر الصرف الرسمي سعر السوق بعد أن اعتمد بكل تعنت سياسة أحادية لحماية سعر الصرف من الارتفاع بذريعة حماية الليرة قامت على تقديم القطع الاجنبي للجهة التي توصله للسوق السوداء ..!! حيث استمر البنك المركزي بعمليات ضخ القطع الأجنبي لشركات ومكاتب الصرافة حصراً بوتيرة أسبوعية وبمبالغ متفاوتة، قدرنا متوسطها في مرحلة سابقة بـ 5–10 مليون دولار أسبوعياً، وقد أجرينا تقديراً سابقاً لأرباح السوق غير النظامية ليبلغ 2،4 مليون دولار، خلال شهر من «التدخل الإيجابي» كما تسمى سياسة الضخ.

المركزي يدين نفسه

كما اعترف حاكم المصرف المركزي «أديب ميالة» بأن قائمة تزيد عن 300 شركة ومستورد، من كبار السوق جميعهم من المخالفين لأنظمة القطع الأجنبي ، ووزير الاقتصاد السابق محمد ظافر المحبك قبله بأن تمويل مستوردات التجار بالقطع الأجنبي، «أي إعطاء التجار قطعاً أجنبياً بسعر أقل ليخففوا من تكاليف الاستيراد بذريعة تخفيف الأسعار لاحقاً» أدت إلى تحويل جزء هام منها إلى السوق السوداء، أي ان المستوردات كانت وهمية، مع العلم أن التدقيق في بيانات المستوردات هي مسؤولية البنك المركزي والجمارك قانوناً..

تحت الضغط.. ولكن!

تحت ضغط النقد الكبير الذي تعرضت له سياسات المركزي «المنحرفة» لمصلحة شركات ومكاتب الصرافة وما وراءها من قوى سوق كبرى كانت تضارب على الليرة أسبوعياً ببيع إيراداتها من الليرة وشراء الدولار، تم السماح للمصارف العامة والخاصة الأكثر قابلية للرقابة والضبط ببيع القطع الأجنبي بكميات محددة، وتم إغلاق عدد من مكاتب الصرافة وشركات الصرافة، ثم إعادة بعضها إلى العمل، وعدم توضيح هل تمت مصادرة أملاكها أم لا.. «ما يعني لا»، هذه الإجراءات مع المتغيرات السياسية ساعدت على استقرار نسبي في سعر الصرف ليتطابق السعر الرسمي عند أعلى مستوى وصل له منذ بداية الأزمة مع سعر السوق.. ولكن ذلك لم يحمل الانعكاسات المناسبة على أسعار المواد المستوردة والمنتجة محلياً.. وكل النهب والهدر والتلاعب الذي تم لم ولن تجري مراجعة جدية له الآن.. طالما ان حاكم المصرف المركزي مازال في موقعه، ويخرج ليقول «اتبعنا سياسة نقدية شفافة نفخر بها منذ عام 2005»..!!

«شفافية نقدية تحررية»

عالجنا «السياسة النقدية الشفافة» المذكورة في ملفات سابقة، وأكدنا أن شفافية التحرير الليبرالية هي التي تسمح قانوناً بخروج الأموال حيث قدرت الأموال الخارجة من البنوك السورية في نيسان 2012 بـ 900 مليار وهي نصف ودائع ما قبل الازمة، وذلك ما يسمح به ما يسمى «تحرير الحساب الرأسمالي» الذي يسمح بحركة الأموال خارج البلاد بحرية، والشفافية النقدية ذاتها، هي التي تسمح بتحكم كبير لشركات ومكاتب الصرافة بالقطع الاجنبي وحصر التداول بهم، وهم وسطاء السوق السوداء، وواجهاتهم المرخصة قانوناً كما تعلم السوق السورية وكما أثبت ترابط المصالح، وهو ما سمحت به سياسات البنك المركزي المستمرة منذ ما قبل الأزمة، والتي بندت في الخطة الخمسية الحادية عشرة للأعوام «2011–2012–2013» بما سمي «تضمين كل عمليات القطع الأجنبي داخل السوق الرسمية» أي السماح بتداول ومتاجرة القطع في المكاتب والشركات المرخصة رسمياً.

ام جديد في الحرب

سياسات... في دعم الاحتكار

نعتت الحكومة وإعلامها «تجار الأزمة» والمحتكرين بأسوأ النعوت..!! ونحن سننعتها بما تستحق، فالقرارات الاقتصادية بالمحصلة قامت على دعم قطاع التجارة حصراً، وفي عام 2013 وحتى الشهر السابع منه فقط كان البنك المركزي قد قدم لأكبر الشركات المستوردة قطعاً أجنبياً مقداره 96.604 مليون يورو موزعة على 34 مستورد فقط، ومنه مبلغ 10 مليون دولار لشركة نستله العالمية من اهم داعمي «اسرائيل» فعلياً،وتحت مسمى مواد أولية لمعملها المحترق والمتوقف عن العمل منذ شهر 2-2013 وهذا نموذج لمن يدعمهم أصحاب القرار الاقتصادي في سورية، فالشركة فقدت بضائعها من السوق لفترة طويلة، ولما تواجدت كانت أسعارها مرتفعة كغيرها..

تحت الضغط.. ولكن!!

أيضاً مغالاة التجار و«الطفيليين» من قوى السوق في احتكارهم ونهبهم للقطع الأجنبي الممول، ساعدت من يدفع بالاتجاه الصحيح على إصدار وزارة الاقتصاد قرار بتاريخ 2013/6/9 متعلق بـ «إعادة هيكلة وتوزيع المستوردات»، الذي نص على تركيز استيراد المواد الغذائية من قبل الحكومة، ثم خفف ليشير إلى أن الحكومة ستتشارك مع القطاع الخاص في الاستيراد ولكن..سيتم حصراً بإجازات استيراد من وزارة الاقتصاد تمول المستوردات على أساسها، بعد القرار المذكور ارتفع سعر الصرف إلى حدود 300 ل.س/$ في السوق السوداء، في تصعيد غير مسبوق رداً على القرار الذي إذا ما طبق جدياً سيقيد الكثير من تحويل القطع الأجنبي إلى التجار وبالتالي للسوق السوداء.. وكانت النتيجة بان القرار لم يطبق جدياً بالطبع، بل طمأن وزير الاقتصاد الحالي التجار بأن إجازات الاستيراد مستمرة على قدم وساق، وأنهم يمولون التجار بحد أدنى بمقدار مليون يورو يومياً.. وبحد متوسط 2 مليون يورو في تصريح له في الشهر الأخير من العام الحالي..

«تنفيس» الخط الائتماني

والحكومة لم توسع من عمليات استيرادها، بل تم إعاقة منافذ الاستيراد الحكومي الهامة كالخط الائتماني الإيراني الذي اشتمل على تسع مواد غذائية في نقاشاته الاولى ثم أعلن عن إضافة مواد أخرى وتخصيص مبلغ يقارب 3,5 مليار دولار ومفتوحة لاستيراد سورية للمشتقات النفطية من إيران.. الذي وصل هو «الفروج المبرد الموعود» وحصل عليه المحظوظون فقط من السوريين والمترسين في «الطحش» على مراكز التوزيع بينما بقية القائمة لم تستورد واختفى ذكرها.. والتأخير البيروقراطي باتجاه الإلغاء، هدفه عدم تغيير جدي في العلاقات التجارية الطاغية مع الغرب سابقاً هذا أولاً، أما ثانياً فإن استيراد الحكومة لمواد غذائية أو مشتقات نفطية بدفع لاحق «وهو ما يعنيه الائتمان» لا يترك ذريعة «للتباكي» الحكومي على كلف المستوردات المرتفعة ومقدار الدعم الحكومي وتحديداً للمشتقات النفطية والتي تعتبر حجة رفع أسعار المشتقات النفطية..

واختصت الحكومة بالتركيز على المستوردات التي تفتخر بتأمينها عن طريق تجار من الحسابات الخارجية المقيدة في بنوك عالمية، وهذه الصفقات تفوح منها رائحة الفساد والسمسرة، كما يشير المنطق العام لسير الأمور في سورية تاريخياً، وكما تشير معلومات من صحف محلية مقربة من الحكومة..

سياسات.. في تخفيض الأجور الحقيقية

زيادة الأجور الصادرة وفق المرسوم رقم رقم 38 لعام 2013، رفعت الحد الأدنى للأجور بنسبة 41% وسطياً، وتغنى الإعلام الرسمي بكرم أصحاب القرار وتفكيرهم بأصحاب الأجور في الظروف الاقتصادية الصعبة التي تشهدها البلاد..

قلنا في قاسيون إن زيادة الأجور المذكورة لم تكن زيادة وإنما كانت تعويضاً فقط لقرار رفع أسعار المازوت المرافق في حينها، وبحساب تأثير رفع سعر المازوت من 15-60 ل.س على رفع المستوى العام للأسعار المقدر والذي يؤثر عليها بنسبة 120%، فإن رفع أسعار المازوت تأثيره أكبر والرفع ليس حتى تعويضاً كاملاً..! مع العلم أن كل انخفاض لقيمة الليرة السورية، وكل ارتفاع في المستوى العام للأسعار هو انخفاض للقيمة الحقيقية للأجور الثابتة خلال كل فترة الأزمة.. أي أن التعويض هو فقط عن مستوى واحد من رفع أسعار نوع واحد من المشتقات النفطية فقط..

فالأجور الحقيقية وهي المقاسة بكم الحاجات القادرة على سدها منخفضة إلى حد أن متوسط الأجور الذي بلغ بعد الزيادة 20 ألف ل.س، لايغطي حاجات الغذاء الرئيسية لأسرة سورية من خمسة أشخاص والتي بلغت حدود 30 ألف ل.س بالحد الأدنى.

رفعت الحكومة أسعار المحروقات لتحصل وفق تقديرنا من مبيعات المحروقات في عام 2013: 386 مليار ل.س، وستبلغ في العام القادم مع افتراض ثبات مستويات الاستهلاك حوالي 500 مليار ل.س، وحققت الحكومة وفورات بحسب موازنتها في عام 2013: 9,5 مليار ل.س، وستحقق في عام 2014: 185 مليار ل.س. كل هذا محقق من أجور السوريين أي هم من سيدفعونه.. بينما انخفض الدعم الحكومي للمشتقات النفطية من 147 مليار ل.س في عام 2013، إلى 40 مليار ل.س في عام 2014، وقد يتلاشى مع انخفاض سعر الصرف أو ارتفاع مستوى الاستهلاك، وكل مقدار من الانخفاض هو مدفوع من أصحاب الأجر بالمحصلة النهائية، وانتقلت المحروقات من قطاع مدعوم إلى قطاع يدر الوفر وأهم إيراد حكومي..

تحت الضغط.. ولكن!!

لم تفلح أي ضغوطات في إيقاف عملية رفع الدعم عن المحروقات، ولكن نجحت في إثارة بعض المسائل مثل التراجع عن تحرير الأسعار، والعودة إلى التسعير الإداري، وإقرار أن الحكومة ستزيد من دعمها العيني، بإقرار سلة غذائية مكون من ست مواد، وكل هذه إجراءات مجربة في سورية ونجحت في التخفيف من أثر أزمة الثمانينيات على مستوى معيشة السوريين.. ولكن !! القرارات ردت والبيروقراطية والإعلام الرسمي والشبيه به كفيل بأن ينسي السوريين ما اتخذ من قرارات إيجابية تحت الضغط.. أي «الحكومة لحست وعودها»!!. ومؤخراً أعلن أن الحكومة ستقدم دعماً نقدياً تناقشه الآن..! وهذا إعلان عن إلغائها فكرة السلة الغذائية التي لم تخصص لها في ميزانيتها أي مبلغ..

إعاقة .. زيادة الأجور الحقيقية

وكنا قد احتسبنا كلفة دعم سلة غذائية لكل أسرة سورية تسد جزءاً هاماً من الحاجات الرئيسية وتسبب ارتفاعاً حقيقياً في الأجور، وبلغت تقديراتنا بأن كلفة دعم الحكومة للسلة الغذائية «التي تدفع كل أسرة مبلغ 23550 ل.س سنوياً من كلفتها» يبلغ 9,8 مليار ل.س في العام لحوالي 4 مليون أسرة، ووضحنا أن الحكومة رفضت هذا النوع من الدعم واختارت أن تدعم المستوردات والمستوردين بالقطع الأجنبي بمبالغ تصل 35 مليار ل.س في عام محسوبة بأدنى تقديرات معتمدة على نصف المبلغ الذي صرح به وزير الاقتصاد..

سياسات.. منضبطة دولياً

مجمل هذه السياسات الحكومية ليست عشوائية أو عدائية أو ناجمة عن مصالح الفساد فقط، وإنما هي التزام ليبرالي صريح من صناع القرار السياسي في الاقتصاد السوري بأجندات اقتصادية دولية.. تتفق مع مصالحهم بالطبع، التزام لا يخجلون منه بل يعلنونه باستقبال عبد الله الدردري النائب الاقتصادي السابق في حكومة اقتصاد السوق «الاجتماعي»، الذي زار سورية بوصفه كبير الخبراء الاقتصاديين في منظمة «الإسكوا» وهي للجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ليقدم رؤية المنظمة الدولية المختصة بشؤون إعادة الإعمار ذات التجربة «الهامة» في لبنان والعراق، وسورية..حول ما سمي حينها «تعبئة الموارد» فالإسكوا في برامجها تطلب تخفيض الإنفاق الحكومي وهو ما حصل في موازنة سورية 2014 التي خفضت إلى النصف إذا ما قورنت بموازنة 2013 باحتساب تغير قيمة الليرة، وتلوم الحكومات على أشكال الهدر المتنوعة ومنها زيادة الأجور، وتقدم النصائح حول السياسات الحكومية لمراحل ما قبل إعادة الأعمار التي تجهز لها..

أجندة سورية.. «دردرية»

وبناء عليه فإن «الإسكوا» وكبير الاقتصاديين فيها عبد الله الدردري، استضافت مؤتمراً بحث ما سمي «مشروع الاجندة الوطنية لمستقبل سورية» التقى فيه وجوه «الليبرالية السورية» من الطرفين أي «معارضة ونظام»، فحضر ممثلون عن المعارضة الخارجية ومنهم «المتباكي» هيثم مناع، وحضر وفد من هيئة تخطيط الدولة وهي مركز لمقترحات رفع الدعم وتغيير السياسة الاقتصادية في سورية الآن وسابقاً.. ليتضح أن طرفي الصراع الدامي يتوافقان على الطريقة المنهجية لإدارة نهب السوريين ليبرالياً ويختلفان على الحصص فقط..

سيطرة التجار على السوق امتدت لـ«التدخل الإيجابي»..

والأسعار «تتقاذفها» التناقضات

■ أروى المصفي

تعيش الأسواق في مدينة دمشق فوضى عارمة، ولا يتضح سبب لارتفاع سعر أو انخفاضه، فالربح غاية لا تدرك للتجار، وفي الوقت نفسه تقف مؤسسات التدخل الإيجابي موقفاً سلبياً دون القدرة على ممارسة دورها بالشكل المطلوب، حيث باتت مندمجة إلى حد كبير بتقلبات أحوال السوق ومتأثرة فيها وليس العكس..
ومع كل مناسبة أو موسم يتنافس الباعة لتحقيق ربح أكبر، وحتى مع وجود العروض والتنزيلات، لكنها مازالت أقرب للوهمية بالنسبة للمواطن السوري، بسبب تضاعف سعر السلع لمرات عدة وليس مرة واحدة فقط..

تصريحات تناقض الواقع

وبمتابعة مستمرة لتصريحات المسؤولين باختلاف مستوياتهم، يتضح التأخر والتقصير في تنفيذ ما وعدوا به، من إغراق للسوق بمختلف السلع والبضائع لتخفيض الأسعار، كما تغيب عن الواقع آثار الاتفاقيات وعقود استجرار المواد الرئيسية كما صرحوا بها «بكميات كبيرة»، وخاصة بالنسبة لمادة السكر التي مازالت صالات المؤسسة الاستهلاكية تفتقر إليها بصورة واضحة وخاصة المقنن منه، فضلاً عن مادتي البرغل والشاي التي لم يتم توزيع أي كمية منها على البطاقة التموينية، وذلك منذ إدراجها مع المواد المقننة...
وفي مبادرة جديدة، وبعد الارتفاعات «اللاهبة» لأسعار المواد الغذائية بمختلف أنواعها بسبب المنخفض الجوي الأخير الذي حصل في المنطقة، أطلقت وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك تبشيراً للمواطنين السوريين بأن "الأسعار مرشحة للانخفاض خلال الأيام القليلة القادمة، بعد أن يتم البدء بتطبيق قرارات تقييد الأسعار"، مشيرة إلى أن "نسبة كبيرة من المنتجين المحليين والمستوردين تقدموا ببيانات تكلفة عن منتجاتهم ليتم تسعيرها ومنحهم الحد الأقصى من الربح المحدد ضمن القرارات التي ألغت تحرير أسعار جميع المواد الغذائية التي كانت المحررة مسبقاً وأنواع معينة من المواد غير الغذائية".
واعتبرت الوزارة أن "الأسعار انخفضت خلال الأيام القليلة الماضية بنسبة تراوحت بين 10% لبعض السلع و30% لسلع أخرى، وهي مرشحة للانخفاض أكثر من ذلك بنسب تتراوح أيضاً بين 20–45% وقد تعود إلى مستويات مقاربة لأسعارها ما قبل الأزمة".
علماً أن الأيام القليلة الماضية التي تحدثت عنها الوزارة في ذلك الوقت، شهدت ارتفاعاً وليس انخفاضاً في الأسعار، بسبب المنخفض الجوي الذي أدى لانقطاع العديد من الطرقات بين المحافظات وتعطل النقل، إضافة لقيام المواطنين بشراء المواد الغذائية تحديداً بكميات كبيرة نسبياً تخوفاً من انقطاعها أو صعوبة الوصول للأسواق، ما دفع التجار لاستغلال الوضع واضطرار المواطنين للتسوق بفترة معينة فرفعوا أسعارهم.

الفواكه تميل للهدوء والخضار ما زالت مشتعلة

أما في ما يتعلق بالتباشير والوعود التي تتأمل بها وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك من حدوث انخفاضات في الأسعار، فلا ننكر أن هناك انخفاضاً في الأسعار بالمجمل، لكن العودة لمستويات ما قبل الأزمة، يحمل الكثير من المبالغة، نظراً لارتباط العديد من العوامل المحددة للسعر بسعر صرف الليرة السورية الذي ما زال بعيداً عما كان عليه في السابق، فضلاً عن الدمار والخراب الذي لحق بالمنشآت الصناعية وخروج مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية من الاستثمار والتناقص الكبير في أعداد الثروة الحيوانية، وبالتالي قلة المنتجات الزراعية والحيوانية مقارنة بالطلب كنتيجة لذلك.
وبجولة ميدانية على بعض الأسواق في دمشق، تبين وجود انخفاض ملحوظ على أسعار الفواكه، فعلى سبيل المثال، تراوح سعر كيلو البرتقال بين 55–75 ل.س، وكيلو الموز بين 85– 110 ل.س، باستثناء التفاح الذي مازال يباع بسعر 180 ل.س.
كما انخفضت أسعار اللحوم والأجبان والألبان في الأسواق عموماً، فبيعت شرحات الدجاج بسعر 565 ل.س/ كغ، والفروج الكامل بسعر 450 ل.س/كغ، أما لحم العجل فحافظ على سعره ويباع بسعر 1500–1600 ل.س/ كغ.
أما كيلو الجبنة العكاوي فيباع بسعر 600– 650 تقريباً، واللبنة بسعر 550 ل.س، في الوقت الذي حافظت فيه الخضار على ارتفاع أسعارها، حيث لم يقل سعر كيلو البندورة عن 125 ل.س ووصل إلى 150 ل.س، وسعر كيلو الخيار 130 – 180 ل.س، والبطاطا تراوح سعرها بين 85–135 ل.س.
أما سعر البيض فقد عاود ليرتفع قليلاً، بعد أن انخفض سعر الصحن إلى 600 ل.س قبل عشرة أيام، ليرتفع سعره مجدداً ويباع بسعر يتراوح بين 625–650 ل.س.

والنشرات الرسمية «تشرّع» الارتفاع

ومن خلال جولة ميدانية على إحدى صالات المؤسسة العامة للخزن والتسويق في دمشق بتاريخ 30 كانون الأول الماضي، تبينت «قاسيون» أسعار بعض السلع التي كانت كما يلي:

السلعة	السعر بالليرة السورية
برتقال	55
كرمنتينا	75
ليمون	70
بطاطا حلوة	80
بطاطا مالحة نوع أول	175
بطاطا نوع ثاني	135
موز	85
فليفلة حلوة	200
خس	75
لبنة	400
جبنة بلدي وعكاوي	700

أما مديرية التجارة الداخلية وحماية المستهلك في دمشق فحددت أسعار الخضار والفواكه في نشرتها الصادرة بتاريخ 29 كانون بما يلي:

السلعة	السعر بالليرة السورية
بطاطا نوع أول	130
بندورة مستوردة	115
برتقال	60
كرمنتينا	80
فليفلة	190
ليمون	95
التفاح نوع أول	180

فيما حددت نشرتها الخاصة بأسعار البيض والفروج بتاريخ 29 كانون الأول الأسعار كما يلي:

السلعة	السعر بالليرة السورية
الفروج المنظف	415
صحن البيض	630

التدخل الإيجابي بيد التجار

وبالعودة لآخر نشرة صادرة عن المؤسسة العامة للخزن والتسويق، والتي تحمل تاريخ 19 كانون الأول الماضي، والتي حددت الأسعار كما يلي:

السلعة	السعر بالليرة السورية
بطاطا	125
فليفلة حلوة	110
برتقال	60
كرمنيتنا	60
ليمون	70

وجاء في نشرة أسعار اللحوم ذاتها :

السلعة	السعر بالليرة السورية
لحم الغنم	1700
لحم العجل	1500
صحن البيض	595

إلا أن معرفة مصدر الأسعار التي تعتمدها مؤسسة الخزن والتسويق، يوجه الأنظار نحو مصدر البضائع التي تباع في صالاتها وآلية توفيرها، وحسب معلومات حصلت عليها قاسيون من مصادر موثوقة، فإن صالات المؤسسة العامة للخزن والتسويق تدار من موظفين يتولون إدارة الصالات وعمليات المحاسبة والأمور المالية فقط، بينما يتم تأمين البضاعة لهذه الصالات عن طريق موردين معتمدين، بحيث يقوم هؤلاء بوضع البضاعة في الصالة بنظام الأمانة أو عبر البيع مباشرة وتحديد الأسعار فيها، فيما تتولى إدارة الصالة إضافة نسب أرباح على تلك الأسعار، تعود لمصلحة إدارة المؤسسة.
علماً أن رئيس الصالة مثلاً لا يمكنه تخفيض سعر البضاعة تماشياً مع انخفاض سعرها بالسوق ما لم يوافق المورد على ذلك ووفق النسب التي يحددها أيضاً، وإلا يتوجب عليه تحمل الخسارة الناتجة عن فرق التسعير.
وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل يتعلق بمدى دقة نشرات الأسعار التي تصدرها المؤسسة العامة للخزن والتسويق، وإلى أي حد هي ملزمة لكل الصالات مع اختلاف موردي البضاعة؟

هل هذا الأسلوب في تأمين السلع والمواد كفيل بتحقيق التدخل الإيجابي بالأسواق لكسر حدة ارتفاع الأسعار، والذي يتطلب تأمين البضاعة من مصدرها مباشرة ودون حلقات وساطة؟

أجورنا الأدنى مقارنة بالدول المجاورة..

والفارق يتجاوز الـ 500%!

من باب بيان الواقع السعري للسلع في الأسواق العالمية والإقليمية والمحلية، والتغيّرات التي تطرأ عليها، أصدرت الهيئة العامة للمنافسة ومنع الاحتكار - مديرية البحوث والدراسات - تقريراً تبيّن في نهايته أن الأسعار المحلية لبعض المواد الأساسية تعد الأرخص مقارنة مع الأسعار في الدول المجاورة «لبنان، الأردن، مصر»، لكي يروجوا لفكرة واحدة ارادوها كما نعتقد، وهي إثبات أن الاسعار في البلاد هي الارخص، دون أن ينسى التقرير المرور الشكلي على مستوى الدخل، والذي أصبح لا يتناسب أبداً مع مستوى الإنفاق على متطلبات المعيشة الأساسية على الأقل، دون الخوض في تفاصيل توضيحية تبين حجم الفجوة لكي تتضح الصورة بشكل أدق، إلا إذا ما اعتبرت أن دراسة الأجور بشكلها التفصيلي خارج نطاق اختصاصها..

■ حسان منجه

تعويض ما تجاهلته دراسة الهيئة العامة للمنافسة ومنع الاحتكار ضرورة تفرض نفسها، لكي لا تُبرَزَ قضية انخفاض أسعار بعض السلع بمعزل عن سواها، فربط الأجور بالأسعار هو الأرضية التي يبنى على أساسها معادلة الأرخص، فعندما تكون أسعار بعض المواد في دول الخليج أو الدول الأوروبية أرخص من الأسعار لدينا، فهذه مفارقة لا بد من الحديث عنها لأن مستويات دخولهم أعلى بكثير من مستوياتها لدينا، ولكن الحديث عن كون الأسعار في الأسواق لدينا الأرخص مقارنة بدول الجوار، فهذا لا يستحق تقريراً ولا دراسة، فمن غير الطبيعي أن يكون العكس صحيحاً، وإلا فإن السوريين في كارثة حقيقية، لأن مستويات دخولهم الأقل مقارنة بهذه الدول..

أجور هزيلة

في الحديث عن الحد الأدنى الرسمي للأجور، فإنه يصل في لبنان إلى 675 ألف ليرة لبنانية شهرياً، وهو ما يعادل 450 دولار أمريكي، وفي هذه الحالة، وعلى أساس السعر الرائج للدولار في الأسواق المحلية «140 ل.س»، فإن الحد الأدنى للأجور في لبنان يبلغ 58800 ل.س، وذلك مقارنة بـ 9765 ل.س هي الحد الأدنى للأجور لدينا، أي أن الفارق يبلغ 49035 ل.س، وبنسبة تصل إلى 500%..

وبالانتقال إلى الأردن، وجدنا أن الحد الأدنى للأجور فيها يصل إلى 190 ديناراً، وهو ما يعادل 268,5 دولار «1 دينار أردني = 1,4134 دولار الأمريكي»، وفي هذه الحالة، وعلى أساس السعر الرائج للدولار في الأسواق المحلية «140 ل.س»، فإن الحد الأدنى للأجور في الأردن يبلغ 37590 ل.س، وذلك مقارنة مع 9765 ل.س هي الحد الأدنى للأجور في سورية، أي أن الفارق يبلغ 27825 ل.س، وبنسبة تصل إلى 285%..

وبالحديث عن مصر، توصلنا إلى أن الحد الأدنى للأجور فيها يصل إلى 1200 جنيه، وهو ما يعادل 173 دولار «1 دولار أمريكي = 6,931 جنيه المصري»، وفي هذه الحالة، وعلى أساس السعر الرائج للدولار في الاسواق المحلية «140 ل.س»، فإن الحد الأدنى للأجور في مصر يبلغ 24220 ل.س، وذلك مقارنة مع 9765 ل.س هي الحد الادنى للاجور لدينا، أي أن الفارق يبلغ 14455 ل.س، وبنسبة تصل إلى 148%..

تصويب

مستويات الأجور في هذه البلدان «لبنان – الأردن – مصر» ليست بالنموذجية، والمواطنون فيها، وبعض الخبراء والمهتمون في المجال الاقتصادي والعمالي، يتحدثون عن ضرورات رفع الحد الأدنى للأجور عن مستوياته الحالية ومضاعفتها، ويتحدث الشارع فيها أيضاً عن الفارق الكبير بين الأسعار ومستويات الأجور، والبعض يصفه بالحد الأدنى الكارثي لأنه لا يؤمن متطلبات المعيشة، ولا يحقق الأمان الوظيفي..

على الرغم من ذلك لم نجد سوى الفجوة الكبيرة بين الحد الأدنى للأجور في هذه الدول وأجور العاملين لدينا، والتي تراوحت بين 150 – 500%، ولهذا نسأل: كيف ستكون الحال لدينا؟! فأجورنا أخفض من تلك الدول بنسب كبيرة، إلا أن أسعار السلع في الأسواق المحلية تكاد تلامس مثيلاتها في تلك الدول ببعض الاحيان، ومهما كانت الأسعار في أسواقنا منخفضة مقارنة بدول الجوار، فإنها لن تتساوى مطلقاً من نسبة الفارق الحاصل في الأجور في تلك الدول أولاً، ومقارنة بالأجور الهزيلة في سورية ثانياً..

التناغم الحكومي مفقود!

يحمّل المتابعون للشأن الاقتصادي وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك مسؤولية عدم القدرة على ضبط الأسعار وانفلات الأسعار في الأسواق، متجاهلين أن التصدير الذي يتباهي به بعض المسؤولين للمنتجات الزراعية والحيوانية، هو من يتحمل المسؤولية بالدرجة الأولى، كالحديث عن تصدير نحو 90 الف طن من مختلف أنواع الحمضيات المحلية إلى العراق خلال الفترة الماضية، أو الحديث عن تصدير نحو 200 ألف رأس من الخراف خلال العام الماضي.

لا نسعى من وراء ذلك إلى إعفاء وزارة التجارة الداخلية من المسؤولية مطلقاً، والتي لا يعود إليها قرار تصدير المواد الزراعية من عدمها بل لوزارة أخرى، إلا أن هذا يعكس عدم التنسيق بين الوزارات، وينبئ بعدم التناغم في عمل الحكومة، فإذا ما كانت الحكومة جادة بخفض أسعار اللحوم، فإن أبسط إجراءاتها هو وقف تصدير الأغنام على سبيل المثال لا السماح بتصديرها، وما ينطبق على اللحوم ينسحب على سواه، فإذا ما كانت الحكومة جادة في ضبط الأسواق، فإن عليها إيقاف التصدير أولاً، والبدء بتطبيق الإجراءات الرادعة لاحقاً..

زائد ناقص

تراجع للصادرات

خلصت دراسة أعدتها هيئة تنمية وترويج الصادرات السورية إلى نتائج أهمها ضعف عام في حجم الصادرات السوريّة إلى دول البريكس مع ارتفاع ملحوظ في حجم المستوردات منها وهذا يفسر الارتفاع المستمر بعجز الميزان التجاري بين الجانبين.

مضيفة أن هناك فرصاً ضائعة يجب استغلالها ضمن هذا التكتل الاقتصادي العملاق خصوصا في ظل التوافق في الهيكل السلعي بين الصادرات والواردات، والعجز في الميزان التجاري سيد الموقف..

■■■

صعوبة نقل

كشف معاون وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية حيان سلمان أن هناك عقوداً قيد التوقيع من جهات القطاع الخاص، ولكن استكمالها رهن تأمين المواد التي ستتم المقايضة بها، وما يعوق هذه العملية هو الواقع الراهن الذي يصعب عملية نقل البضائع..

■■■

الحرفيون ينتظرون

كشف رئيس الاتحاد العام للحرفيين ياسين السيد حسن أن الاتحاد بانتظار التعليمات التنفيذية للمرسوم رقم 68 الذي صدر بتاريخ 2013/9/30 والقاضي بإعفاء الاتحاد العام للحرفيين من جميع الرسوم والضرائب ورسوم الخدمات والرسوم البلدية.

■■■

تعويضات

وافق مجلس صندوق التخفيف من آثار الكوارث، على توزيع 108 ملايين ليرة خلال الأسبوع الحالي، على الفلاحين المتضررين من الكوارث، والبالغ عددهم 2637 مزارعاً، في محافظات "حلب والرقة والحسكة".

■■■

جردة حساب

ذكرت وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك أنه تم تسجيل أكثر من 26 ألف مخالفة منذ بداية العام الحالي حتى نهاية الشهر الماضي في المحافظات السورية.

■■■

«إفراج»

أوضح مدير فرع الاستهلاكية بدمشق فداء بدور، أنه تم تأمين كمية 10 آلاف طن من السكر التمويني من مؤسسة الخزن والتسويق ستوزع قريباً على منافذ البيع المخصصة بهدف تأمين حاجات المواطن من هذه المادة بعد التأخير في توزيعها.

جيو سياسة

● حث رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان مناصريه للاحتشاد حوله وتأييده لمحاربة ما اسماه ب«المؤامرة» التي تنفذها عناصر مدعومة من الخارج !! هذا وقد أعلن 3 نواب بينهم وزير سابق عن حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا الذي تهزه فضيحة فساد واسعة، انسحابهم من هذا الحزب. وبين هؤلاء وزير الثقافة السابق ارتورول غوناي الذي اتهم حزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يتزعمه رئيس الوزراء رجب طيب أردوغان بعرقلة عمل القضاء في التحقيق ضد الفساد.

■■■

● أعلن الرئيس الفنزويلي نيكولاس مادورو أن الصين منحت فنزويلا قرضاً بقيمة 5 مليارات دولار لتنمية البنية التحتية والإسكان والمواقع الصناعية. ويبلغ مجموع القروض التي منحتها الصين لفنزويلا 36 مليار دولار، علما أن هذا المبلغ لا يشمل القرض الجديد. هذا وقد سددت فنزويلا 20 مليار دولار من قروضها للصين.

■■■

● كشفت صحيفة الشروق الجزائرية عن وجود قاعدتين عسكريتين أمريكيتين في تونس بعلم السلطات فيها، بالإضافة إلى انتشار مكثف لضباط وكالة الإستخبارات الأمريكية ولجنود «الأفريكوم»

■■■

● أفادت إذاعة الكيان الصهيوني، بأن جيش اليكان اعتقل أربعة ناشطين من «الجهاد الإسلامي» من سكان منطقة بيت لحم يوم الجمعة 1/3، للاشتباه فيهم بتفجير عبوة في حافلة في منطقة بات يام قرب تل أبيب، قبل حوالي 10 أيام.

■■■

● بدأ المجلس الوطني التأسيسي في تونس يوم 3 كانون الثاني التصويت على فصول مشروع الدستور الجديد، الذي يتطلع الفرقاء السياسيون إلى استكمال المصادقة عليه قبل 14 يناير الجاري تزامنا مع مرور 3 سنوات على ذكرى ثورة الحرية والكرامة.

■■■

قالت صحيفة تشاينا ديلي الرسمية يوم الجمعة إن الجيش الصيني يعتزم تأسيس هيكل قيادة مشتركة لعملياته بهدف تحسين مستوى التنسيق بين مختلف أفرع المنظومة الدفاعية في البلاد.
وكالات..

■ وكالات

حول «الأوراسية» والرعب الأمريكي

«أفضل روسيا، بالنسبة للأمريكيين، هي روسيا غير الموجودة، روسيا المحطمة التي يستغلّها جيرانها». بهذا الكلام الواضح والمباشر، يعبر «بريجنسكي»، مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق، في كتابه «رقعة الشطرنج الكبرى» عن نظرة قادة «النظام العالمي الجديد» في الولايات المتحدة تجاه روسيا.

■ فيصل يعسوب

في الكتاب ذاته، يركّز «بريجنسكي» على مفهوم «الأوراسية»، يحذّر منه، ويعلن أن «الأوراسية» هي جوهر التحدي السياسي الاقتصادي للسيادة الأمريكية الليبرالية على العالم، ذلك أن قوة «الأوراسية» تفوق، بشكلٍ كاسح، القوة الأمريكية.

التعريف الجغرافي والمادي لـ «الأوراسية»

«أوراسيا» هي جغرافيا قارتي أوربا وآسيا المتداخلتين ببعض بشكل كبير، وهي الممتدة من حدود أوربا الغربية، على المحيط الأطلسي، حتى سواحل روسيا والصين، على المحيط الهادئ في الشرق، بما فيها الشرق الأوسط والجزيرة العربية. في «أوراسيا» ثلاثة أرباع مصادر الطاقة في العالم، وهي أكبر قارات العالم، وفيها ست دول من كبرى الدول الاقتصادية العسكرية، أكبر دولتين سكانياً، الهند والصين، والدولة الأكبر مساحة وهي روسيا، 17،1 مليون م2.
ويعتبر العديد من المحللين منطقة «الوحدة الأوراسية»، المرعبة للأمريكيين، منطقة ارتطام القوى الدولية الكبرى منذ الحرب العالمية الثانية للسيطرة على العالم سياسياً واقتصادياً.

الوحدة «الأوراسية» في الواقع والتطبيق

عام 1994، أعلن الرئيس الكازاخستاني، «نزار باييف»، بدء مشروع اتحاد دول أوراسي، وفق مبادئ أربعة: «1» المنفعة الاقتصادية «2» التكامل متعدد الجوانب «3» توحيد المنظمات السابقة لإقامة الاتحاد «4» توحيد البلدان تبعاً لجهوزية كل بلد.
ومنذ حينه، باتت فكرة الاتحاد الأوراسي تنمو في المجتمع الروسي ومجتمعات دول آسيا الوسطى. يرى البعض أن تلك الدول تريد الاستقواء بدولة روسيا القوية ضد الهيمنة الأمريكية، لكن الاستقواء هو ليس سياسياً فحسب، وإنما اقتصادي بشكل أساسي، فالاتحاد الأوراسي إن تحقق سيكون فيه ثلاثة ملايين نهر يبلغ طولها عشرة ملايين كلم، تعطي أكثر من 3 آلاف مليار متر مكعب من المياه سنوياً، ما يفسح المجال واسعاً أمام الزراعة وتأمين الغذاء وكسر احتكار الولايات المتحدة الأمريكية للقمح في العالم.
وتغذي روسيا أوروبا الغربية بثلث احتياجاتها من النفط، ومن الطبيعي أن يصبح الاتحاد قوة اقتصادية عظمى مع توفر الإمكانات النفطية الكبرى لدول مثل كازاخستان والعراق.

الوحدة الأوراسية..وسفينة الغرق الأمريكية

الاتحاد الأوراسي لم يتحقق بعد، لكن مقدماته واضحة وقويّة: الاتحاد الجمركي الذي يضم الآن روسيا وبيلاروسيا وكازاخستان، الاتحاد بين روسيا وبيلاروسيا، «منظمة شنغهاي» التي تضم روسيا والصين وكازاخستان وقرغيزيا وأوزبكستان وطاجاكستان، وسريلانكا وبيلاروسيا كشركاء في الحوار، و«منظمة شنغهاي» تعبير قوي، ليس فقط عن الأفق الأوراسي الصاعد، ولكن أيضاً تعبير عن إعادة ترتيب القوى الدولية.
واليوم، تزداد أهمية الوحدة الأوراسية، بمختلف أشكال ظهورها، مع حملة الاختراق الشديدة التي تشنّها الولايات المتحدة ضد مصالح روسيا، وعلى حدودها، من خلال أحداث أوكرانيا مؤخراً، وقبلها الشيشان وجورجيا ويوغسلافيا، وهذه الحملة هي موجّهة حقيقة ضد مجمل الدول الأوراسية لأن «مركب النجاة الوحيد من سفينة الغرق الأمريكية هي روسيا الأوراسية» وفق تعبير الرئيس الكازاخستاني، «نزار باييف»..!

إخوان مصر: إرهابهم أخرجهم من اللعبة

■ شيرين الذياب

من عمق ثقافة التطرف التي أنتجها الغرب في المنطقة، إذ وبمجرد فشل مشروعهم السياسي المطروح، يأخذ المتطرفون على عاتقهم تكثيف العنف وتصعيده إلى المستويات القصوى، للقضاء على وعي الجماهير، وطرح أنفسهم كبديل لا مناص منه، فإما الأمان في ظلالنا، وإما حالة عنف بلا حدود.

انتهى عام 2013 ولم ينته مسلسل العنف في مصر. حيث يقف الشعب المصري وحكومة الببلاوي والمجلس العسكري أمام خيارٍ تحاول جماعة «الإخوان المسلمين» أن تفرضه، كخيار لابد منه. فإما الإخوان، بكل سياستهم التي أثبتت فشلها بعد سنة من توليهم السلطة في مصر، وإما إغراق الشارع في العنف، ليصبح لا بديل عنه.

القوة الإقليمية تستنفد صبرها

إذا كان تركيز بعض وسائل الإعلام اليوم موجهاً على «سيطرة حكم العسكر واستبداده»، فإنه تتم، على أرض الواقع، سلسلة من الأعمال الإرهابية ضد الشعب المصري. وتحاول كذلك النيل من سمعة جيشه، الذي يتصدى للإرهاب، وخصوصاً بعد جملة المواقف التي اتخذها الجيش من بعض الحكومات العربية والأجنبية، كالحكومة التركية، بما فيها التصريح الأخير الذي أعلنته وزارة الخارجية المصرية، والتي أكدت فيه على ضرورة التأني بخصوص العلاقة مع تركيا، وإرجاء بعث السفير

المصري إليها، حيث قالت، على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية، بدر عبد العاطي، إن: «مصر لن تتسامح مع من يعبث بأمنها القومي، وإن عودة السفير المصري لأنقرة غير مطروحة في الفترة الحالية أو القريب العاجل».
وفيما يخص العلاقة مع قطر، أكد أن التسامح وسعة الصدر تأتي، انطلاقاً من «العلاقة بالهوية العربية»، ومحذراً قطر بلهجة صارمة «أنه للصبر حدود»، وهذا يشير إلى تراجع دور الراعي الإقليمي للإخوان، وبالتالي يفسّر ازدياد العنف من قبلهم، في سبيل إنقاذ ما تبقى لهم من مواقع، حتى ولو أغرقوا البلاد بالعنف، كما ودفع عنف الإخوان الشعب المصري إلى التخلي عنهم، كفاعل سياسي بعد ثورة 25 يناير، حسب ما دفعت بهم بعض القنوات، وخصوصاً «الجزيرة».

النهوض بمصر وردع الإرهاب.. بالتوازي

قد يبدو المشهد المصري مغرقاً بالسوداوية، حيث لم يكن المشهد فيها عنيفاً إلى هذه الدرجة من قبل، إلا أن ضرورة المحافظة على مصر، بسبب دورها الاستراتيجي في قضية الصراع العربي ـ الصهيوني، الذي يميل تدريجياً لغير مصلحة الأخير، وبسبب الحاجة الملحة لحلّ القضايا الاقتصادية ـ الاجتماعية المتردية، التي يعيشها المصريون، والتي قد تقود البلد للانهيار، حتّمت على المصريين، وعلى الحكومة المؤقتة والمجلس العسكري، بقيادة الفريق أول عبد الفتاح السيسي، البدء بخطوات فعلية لحل القضايا المعلّقة هناك، والتي بدأت بالاستفتاء على الدستور في يناير العام الماضي، ويتبعه إجراء انتخابات في مدة أقصاها 6 أشهر، حيث أكد رئيس الجمهورية المؤقت، عدلي منصور، الأحد 29 كانون الأول، على «التزام مؤسسة الرئاسة بضرورة إنجاز الانتخابات البرلمانية والرئاسية في غضون 6 أشهر، بعد إقرار الدستور».
وفي هذا السياق، جرى توصيف الواقع السياسي في مصر، واتخاذ مواقف واضحة اتجاه سلوك الإخوان هناك ومحاسبتهم. حيث أعلنت حكومة مصر أن تنظيم «الإخوان» تنظيم إرهابي، وقامت بحظره داخل مصر، بالإضافة إلى حظر جميع الأطراف المتعاونة معه، والتي روجت للعنف في البلاد، بعد ثبوت تورطه في أعمال العنف التي هزّت رابعة العدوية.

الحملة العسكرية ضد «داعش»

بين التأييد/الرفض.. ونتائج الانتخابات

انتهى اعتصام الأنبار دون إراقة قطرة دم واحدة أو اعتقال إرهابي واحد !! وسط حملة من التأييد/الرفض القطيعي الصاخب، بخطاب إسلامي طائفي رجعي. ليعود الإرهابيون إلى الاستيلاء على مراكز الشرطة إثر انسحاب الجيش تنفيذاً لرغبة محافظ الأنبار وبعض شيوخ العشائر وتسيل دماء الأبرياء، مما اضطر الجيش إلى العودة لخوض المعركة مباشرة بالتحالف مع قوات الصحوة العشائرية المناصرة للحملة.

■ صباح الموسوي*

وبالرغم من انتقال الصراع بين أطراف الحكم إلى مرحلة الانسحاب من البرلمان والتغيب عن اجتماع مجلس الوزراء بل والعملية السياسية برمتها على صعيد الرافضين، ودعم قرار المضي بالحملة من قبل المؤيدين وتجاهل الشركاء في الحكم مهما كانت النتائج.

أزمة الجيش العراقي

يغفل كلا الخطابين– المؤيد المعارض– من طرفي الحكومة من أن قرار بريمير الحاكم الصهيوني للعراق بعد احتلاله، بحل الجيش العراقي ومن ثم تأسيس جيش دمج مليشياوي ومتطوعين من جموع الشباب العاطلين عن العمل للحصول على مرتب شهري مجز، هو أساس انتشار التنظيمات المسلحة المتشددة دينياً والإرهابية والمليشاوية الرجعية، وكأن الطرف المؤيد يصر على الانتقام من صورة الجيش العراقي المنحل باعتباره «جيش الضباط من المنطقة الغربية والموصل، والعُرَفاء من الوسط والجنوب» إلى «جيش الضباط من الوسط والجنوب، والعُرَفاء من المنطقة الغربية والموصل» في مرحلة تتطلب إعادة تأسيس الجيش العراقي على أساس الخدمة الوطنية الإلزامية وتأهيل الضباط في الكليات العسكرية وفق المقايس الوطنية والمهنية. الجيش الحامي للوطن، المحايد على الصعيد السياسي الداخلي، في ظل نظام وطني تحرري ديمقراطي يستند إلى دستور يضمن تداول السلطة بالانتخابات الحرة النزيهة.

كيفية الانتهاء من الإرهاب

يتوهم كل من يتوقع نجاح الحل العسكري لتصفية القوى المتطرفة الإرهابية دون أن يقترن ذلك بحل سياسي شامل لأوضاع البلاد المتدهورة على جميع المستويات، الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. كما تتوهم قوى الكتلة «العراقية» المهترئة، إمكانية إعادة شكل من أشكال النظام الدكتاتوري الساقط بالاحتلال من شباك العملية السياسية المحاصصاتية الفاسدة. تتوهم أيضاً كتلة «التحالف الوطني» المتصارعة، إمكانية هيمنة نظام «إسلامي» طائفي رجعي عبر سيطرتها على السلطة وفق نظام المحاصصة الطائفي الاثني الفاسد، ويتوهم كذلك «التحالف الكردستاني» الممزق إمكانية تحقيق الانفصال وسط صراع «سني – شيعي» كما روج أقطابه منذ 9 نيسان 2003 عن «عراق يتكون من الشعب الكردي والعرب الشيعة والعرب السنة معرض للتقسيم إن لم يقم النظام الفيدرالي». ولعل أكثر أولئك الواهمين هي تلك القوى والشخصيات الانتهازية التي تخلت عن المبادئ الطبقية والوطنية الثورية تساوقاً مع موضة «التحرير–التغيير الأمريكي» في العراق والتي تنشط على هامش هذه العملية السياسية الأمريكية الصنع، راضية بتوصيف حيتان الاحتلال لها بـ «القوى الصغيرة»، حين يتوهم هؤلاء «إمكانية تصحيح مسار العملية السياسية اللصوصية».

القوى الانتهازية واعتبارات الانتخابات

تسقط هذه القوى الانتهازية اليوم بين مؤيد ورافض للحملة العسكرية وفق تحليلات سطحية بل وانتهازية حد سقط أغلبهم في مستنقع الانتماءات الطائفية – الإثنية رغم رفعها راية الشيوعية والديمقراطية. وتنخرط في معركة القوى الطائفية لحشد وتجييش وزج الفقراء في أتون معركة القوى المتشددة دينياً الرجعية والإرهابية، في إطار شحن طائفي وديني وإثني، معركة الولاءات اللاوطنية التي تدعو إلى الاحتراب والإلغاء. لقد وضع الطرفان المتخاصمان المؤيد والرافض للحملة العسكرية هدف الفوز في الانتخابات فوق جميع الأهداف المعلنة، ولعل نوري المالكي بحكم سيطرته على مفاتيح القوة في السلطة، قد حسم نتيجة الانتخابات سلفاً بتوقيته شن الحملة بفترة قصيرة من موعد الانتخابات، فنجاح الحملة عسكرياً ولو شكلياً ومؤقتا سيوفر له عوامل الفوز في الانتخابات، أما في حالة الفشل فسيلجأ إلى إعلان الأحكام العرفية والبقاء في السلطة إلى أجل غير مسمى.

إن الموقف الانتهازي من الانتخابات هو بالضبط ما يفسر الموقف الهستيري والخطاب السياسي المنافق الرافض للحملة، ولو قدر لأصحابه احتلال موقع المالكي، لما تصرفوا إلا بالعقلية نفسها، فجميع المتخاصمين من طبقة طفيلية فاسدة واحدة، وإن رفعوا رايات طائفية وإثنية متعددة..فقوى مجلس الحكم سيئ الصيت، الحاكمة اليوم بشروط ما يسمى بـ» اتفاق المصالح الاستراتيجي» الأمريكي، لم ولن تقود البلاد إلى الحل الوطني التحرري، المتمثل في إعادة تأسيس الدولة الوطنية العراقية المغدورة في انقلاب 8 شباط 1963 الأمريكي الصنع الذي أدخل العراق وشعبه في عقود من القمع والحروب والحصار، ونسخته الإمبريالية المباشرة في 9 نيسان 2003 .

■ * منسق التيار اليساري الوطني العراقي عضو لجنة العمل اليساري العراقي المشترك

لبنان: محاولة «شراء الجيش» إلى تفجيرات الضاحية

■ مالك موصللي

تشهد الساحة اللبنانية متغيرات متسارعة. وتتسارع معها المحاولات الرامية إلى تفسير الحدث اللبناني، إما عبر تصويره على أنه تصدير مباشراً للمشهد السوري، وإما عبر استحضار الخلاف السياسي اللبناني الداخلي. الأسبوع اللبناني الفائت كان زاخراً بالمعطيات الملموسة. موجة التفجيرات الإرهابية ما زالت مستمرة، ارتفعت حدتها في التفجير الذي استهدف وزير المالية السابق، محمد شطح، ليتبعه تفجير الضاحية الجنوبية بخمسة شهداء وعشرات الجرحى. الصواريخ من وإلى الكيان الصهيوني، وتوظيفها لتوريط المقاومة. التعرض للجيش اللبناني، سواءً بمواجهته في صيدا وطرابلس، أو في «دعمه» مالياً، لمواجهة الإرهاب من قبل داعميه.

الفاشية الجديدة.. توسيع الرقعة

لا يمكن فهم ما يجري في لبنان بعزل أحداثه عن سياقها الدولي والإقليمي. دولياً، تسير الأمور إلى غير مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تصارع هذه الأخيرة آلام تراجعها من جهة، وعجزها عن كسر التوازن الدولي لمصلحتها، وإمكانية حركته لمصلحة القوى الدولية الصاعدة، من جهة أخرى. يلاقي هذا الواقع الدولي صداه إقليمياً، ففي سعيها إلى اكتساب أكبر قدر من أوراق الضغط في الاستحقاقات الدولية الجديدة، تحاول الدول الإقليمية التابعة للولايات المتحدة الأمريكية أن توسّع من نقاط العنف في المنطقة، في محاولة منها إلى عدم الاقتصار على أوراق الضغط التي يؤمنها لها تدخلها السافر في الشأن السوري.

من هنا يمكن فهم سعي السعودية، كتابع لرأس المال المالي الفاشي، وحلفائها، لإدخال لبنان في أتون العنف، وتصعيد مجرى الصراع فيه. وبهذا فقط تُترجم «هبة الـ3 مليار دولار» للجيش اللبناني، التي بادرت السعودية إلى إعلانها، على لسان الرئيس اللبناني «اليتيم داخلياً»، ميشال سليمان. كانت السعودية صريحة، تريد للجيش اللبناني أن يدخل في مواجهة مباشرة مع «حزب الله»..

الانقسام العمودي يسهِّل العنف

داخلياً، كان لبنان، ولا يزال، أرضية خصبة لـ «استضافة» عمليات تصفية الحساب الإقليمي. أدوات السعودية في لبنان غارقة في الطاعة حتى أذنيها. فؤاد السنيورة كان أول من تماشى مع «متطلبات المرحلة»، حيث بادر وفريقه إلى استثمار اغتيال وزير المالية السابق، محمد شطح، ليعلنوا أن المعركة قد بدأت للقضاء على «كل سلاح غير شرعي يعلو فوق سلاح الجيش اللبناني». ويأتي التحاصص الطائفي في لبنان، والانقسام السياسي العمودي بين قوى الثامن والرابع عشر من آذار، ليمنع لبنان أكثر من مقاومة سيناريو العنف، هذا الانقسام الذي ما زال يمنع حكومة وحدة وطنية قادرة على تأمين الاستقرار، ولو كان نسبياً، من الظهور.

ما يجب فهمه جيداً، أن تفجير الوضع في الداخل اللبناني لا يأتي إلا في سياق استخدامه كورقة ضغط، في استحقاقٍ إقليمي ودولي أكبر من لبنان. وإن كان سيؤثر عليه بشيء، فهو يهدف إلى شل قدرة المقاومة، التي لها التأثير الإقليمي الأبرز، من بين كل فصائل وأحزاب الداخل اللبناني. معركة القوى الفاشية اليوم باتت محكومة بتوسيع نطاقها، وضرب المقاومة، سواءً بشكلٍ مباشر، كاغتيال رموزها وضرب قدرتها، أو بشكل غير مباشر عن طريق جرجرتها للداخل السوري، أو من خلال استثمار الانقسام العمودي، واغتيال رموز «الطرف الآخر»، وإما بتصعيد السيناريو أكثر، وتمهيد الأرضية لعنف داخلي مباشر، تُستنزف فيها قدرات الجميع، بما فيهم المقاومة.

من الذاكرة الثورية

للشعوب

■ قاسيون

1948/1/1 الإعلان عن تشكيل جيش الإنقاذ بقيادة الضابط السوري فوزي القاوقجي لمساعدة فلسطين.

1975/1/2 الثورة الشعبية في لاووس ومجيء حزب "الشعب الثوري" اللاووسي إلى السلطة.

1912/1/3 الإعلان الأول لجمهورية الصين الشعبية وقد استمرت هذه الجمهورية عدة شهور قبل سقوطها.

1948/1/4 استقلال بورما.

1951/1/4 القوات الكورية الشمالية والقوات الصينية تدخل سيؤول عاصمة كورية الجنوبية أثناء الحرب الكورية.

1945/1/5 إعلان الحكومة الديمقراطية الشعبية في بولونيا بعد قيام الجيش الأحمر السوفييتي بتحريرها من النازية.

1957/1/6 الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور يعلن عن مشروعه الاستعماري لمحاربة الشيوعية في الشرق الأوسط والذي عرف باسم مبدأ أيزنهاور.

1979 /1/7 القوات الفييتنامية تدخل مدينة بنوم بنه عاصمة كمبوديا وتسيطر عليها وتطرد قوات «الخمير الحمر» ورئيسهم «بول بوت» الذين قتلوا أكثر من ثلاثة ملايين من الكمبوديين.

2013

تعمق أزمة «رأس المال».. تحولات استراتيجية كبرى

■ إعداد: محرر الشؤون العربية والدولية

تمخض عام 2013 عن جملة من المعطيات الدولية ذات الطابع الانعطافي والاستراتيجي على صعد عدة، أهمها الأزمة الرأسمالية وتراجع القطب الأمريكي والغربي واستمرار الحراكات الشعبية العالمية وتبلور قطب السلم العالمي وقضايا أخرى عديدة..
ترصد جريدة قاسيون في هذا التقرير أهم هذه القضايا والأحداث:

مع تأزم رأس المال وبعد السقوط المدوي لحكم الإخوان المسلمين في مصر ومع انغماس السعودية الدموي في الأزمة السورية، تجلى خطر الفاشية الجديدة بوضوح، حيث تصاعدت ممارساتها الدامية عبر التفجيرات والعمليات الإرهابية

تعمق الأزمة الرأسمالية

استمرت الأزمة الرأسمالية العالمية بتجلياتها على المستوى العالمي، حيث استمر الركود في المراكز العالمية وتراجع النمو في الدول الصاعدة، فلم يتجاوز معدل النمو على مستوى العالم 2,4%. ولم ينمُ الاقتصاد الأمريكي بأكثر من 1,7%، كما انكمش الاقتصاد الأوروبي بـ 0,6%، ولم يتجاوز النمو في دول «بريكس» هذا العام 5%. وعلى صعيد البطالة فقد ارتفعت نسبتها في أوروبا لتصل إلى 12,2% ، وفي الولايات المتحدة لم يستطع الاقتصاد الأمريكي إضافة أكثر من 88 ألف فرصة عمل من أصل 200 ألف فرصة عمل مفترضة.

هذا وقد ارتفع إجمالي الدين العام لمنطقة اليورو وسجل 92,2% من إجمالي الناتج المحلي للمنطقة، حسب بيانات هيئة الإحصاء الأوروبية «يوروستات»، وبلغ الدين العام الأمريكي 107% من الناتج المحلي الأمريكي مما أشعل أزمة الدين العام وتوقفت قطاعات واسعة من الحكومة الأمريكية عن العمل لمدة شهر.

وعلى صعيد تمركز الثروات العالمية فقد بلغ إجمالي ثروة «ملياردية» هذا العام 6,5 تريليون دولار، كما ازداد عدد «الملياردية» من 1360 ملياردياً في عام 2009 إلى 2170 ملياردياً في عام 2013. وتكشفت الأزمة الرأسمالية العالمية عن هيمنة للقطاع المالي الطفيلي في مختلف جوانب الاقتصاد العالمي، حيث جمع 17% من «الملياردية» ثرواتهم من القطاعات المالية والبنوك، في حين يرتبط 8% منهم فقط بالقطاع الصناعي.

حراك شعبي عالمي

وفي مقابل الصورة القاتمة للاقتصاد اشتعلت في العديد من الدول حراكات جماهيرية وشعبية وعمالية واسعة، فشهدت باكستان مظاهرات معارضة للحكومة الجديدة برئاسة نواز شريف.

وانطلقت مظاهرات في العراق ضد حكومة نوري المالكي ولاحقاً ضربت العراق موجات عنف وتفجيرات بمعدلات غير مسبوقة. وشهد الأردن عدة مظاهرات احتجاجية مطلبية على الصعيد الاقتصادي رغم الانتخابات البرلمانية التي جرت فيه، واحتجاجات سياسية بسبب احتمال تدخل أمريكي من الأردن بالشأن السوري. واستمر الحراك الشعبي البحريني رغم الدعوات للحوار من النظام الحاكم المستمر بالقمع. وشهد السودان احتجاجات طلابية واسعة شارك فيها الشيوعيون السودانيون، على إثر قرار برفع أسعار المحروقات، كما شهد جنوب السودان بداية احتجاجات انتهت بمحاولة إنقلاب، اجهضتضد سلفاكيير ثم تطورت لاحقاً لاقتتال أهلي.

وشهدت مصر كبرى الاحتجاجات ضد حكم الإخوان المسلمين وانتهت بثورة 30 يونيو التي أسقطت الإخوان، وشهدت القاهرة تقارباً استراتيجياً مع روسيا وتصدعاً في العلاقة مع واشنطن وقطر وتركيا. وكذلك تونس حيث استمر فيها الحراك الشعبي، وبإدارة فعالة من الاتحاد العام التونسي للشغل، رغم الاغتيالات السياسية التي طالت رموز المعارضة اليسارية وتوج هذا الحراك بحوار وطني أفضى لإقالة حكومة "النهضة".

وانطلق الحوار اليمني برعاية الرئيس "منصور عبد ربه هادي" على وقع هجمات القاعدة وتعزيز النزعات الانفصالية وغياب مشروع التغيير الحقيقي. كما شهد لبنان احتجاجات نظمتها "هيئة التنسيق النقابية اللبنانية" ضد الحكومة التي استقالت لاحقاً، لأجل تحسين مستوى المعيشة، والتي كسرت التمترس الطائفي. وشهد المغرب احتجاجات دعت إليها كبرى النقابات العمالية في البلاد أدت لاحقاً إلى تغييرات في حكومة عبد الإله بن كيران. اجتاحت مظاهرات عارمة المدن التركية، بدأت باحتجاجات عمالية في الأول من أيار "عيد العمال" وتوسعت لاحقاً لتشمل العديد من المدن التركية، ودخلت أطياف المعارضة فيها، واستمرت مع اشتعال أكبر فضيحة فساد طالت حكومة أردوغان وأدت إلى إقالة عدة وزراء. كما شهدت كل من إيطاليا واليونان وقبرص والبرازيل وبريطانيا والولايات المتحدة والبرتغال، احتجاجات مطلبية واسعة إثر مشاكل اقتصادية عدة.

تغيرات الأزمات الدولية

شهدت الأزمات الدولية العالقة منذ سنوات تغيرات استراتيجية هامة ناتجة عن تراجع الدور الأمريكي والغربي، وتقدم ملحوظ لقوى السلم العالمي، فرغم قيام الناتو بنشر صواريخ الباتريوت على الأراضي التركية والأردنية متذرعاً بالأزمة السورية والنووي الإيراني، لوحت روسيا بنشر صواريخ "الاسكندر" على أراضيها عند تخوم أوروبا الغربية، وعلى صعيد الملف النووي الإيراني انتزعت طهران اتفاقاً دولياً أفضى إلى اعتراف الغرب بحقوقها النووية السلمية وتخفيف العقوبات الاقتصادية عنها. ومع استمرار حالة العنف في ليبيا وفوضى السلاح وبعد اجتياحها لمالي، قامت فرنسا باجتياح دولة "إفريقيا الوسطى" بذريعة حربها على الإرهاب. أما على صعيد الأزمة الكورية فقد فرضت الولايات المتحدة مزيداً من العقوبات على كوريا الديمقراطية بعد قيامها بتجربة نووية ثالثة، ما دفع كوريا الديمقراطية لنشر صواريخ تطال سواحل الولايات المتحدة. وفي بحر الصين الشرقي قامت الصين بإنشاء منطقة حظر جوي فوق بحر الصين، فتوترت اليابان وأرسلت الولايات المتحدة سفناً حربية إلى هناك وقاذفات استراتيجية. وفي أوكرانيا سعى الغرب بدعمه للمعارضة الأوكرانية المحسوبة عليه إلى القيام بثورة مضادة ضد الرئيس الأوكراني "فيكتور يانوكوفيتش" الذي رفض الشراكة المجحفة مع الاتحاد الأوروبي واستبدلها بالشراكة الاستراتيجية مع الشرق. أما الفضيحة الأكبر والتي هزت العالم فهي فضيحة التجسس الأمريكي على الاتصالات الدولية وعلى العديد من قادة العالم كان أهمها قادة ألمانيا وفرنسا. هذا وقد بدأت تركيا مفاوضات مع عبدالله أوجلان زعيم حزب العمال الكردستاني لإيجاد حل نهائي مع الأكراد. وفي سياق لافت وبعد السقوط المدوي لحكم الإخوان المسلمين في مصر ومع انغماس السعودية الدموي في الأزمة السورية، تجلى خطر الفاشية الجديدة بوضوح، حيث تصاعدت ممارساتها الدامية عبر التفجيرات والعمليات الإرهابية في كل من مصر وليبيا والعراق وتونس واليمن ولبنان وسورية وصولاً إلى تفجيرات "فولغا غراد" في روسيا.

القطب الدولي الجديد

بلورت بعض القوى الدولية توجهاً هاماً على مستوى العالم اتسم بالتزامه الحلول السلمية في تسوية الأزمات الدولية، وبرزت الصين وروسيا كأقطاب جدية في هذه الاتجاه، حيث كان موقفهما في القمة الخامسة لدول البريكس واضحاً تجاه ضرورة الحل السياسي للأزمة السورية، كما أنشأت دول البريكس صندوقاً للتنمية برأسمال قدره 5 مليار دولار. هذا وقد استطاعت روسيا فرض الحل السياسي في القمة 39 لمجموعة الـ 8، كما استطاعت روسيا وحلفاؤها قلب الطاولة على الإدارة الأمريكية التي كانت تنوي القيام بعمل عسكري ضد سورية في مؤتمر قمة العشرين. وجاءت القمة الثالثة عشرة لمنظمة "شانغهاي للتعاون" لتعزز دور هذه القوى. كما أحيت روسيا مشروع منظمة "الأمن الجماعي" التي تشمل دول آسيا الوسطى يضاف إلى كل ذلك قرار رؤساء روسيا وبيلاروس وكازاخستان في ختام اجتماع المجلس الاقتصادي الأوراسي، الموافقة على انضمام أرمينيا إلى الاتحاد الجمركي، ما يعني استمرار إحياء النفوذ السوفييتي السابق. وفي سياق موازٍ اتسم هذا العام بتطورات هامة واستراتيجية على مستوى التسليح وتنامي القوى العسكرية لكل من روسيا والصين وإيران.

القضية الفلسطينية

على مستوى أهم القضايا التاريخية في منطقتنا، فقد شهد العام 2013 وضوح عوامل ضعف الكيان الصهيوني، فمع تخفيض النفقات العسكرية الأمريكية طال الكيان الصهيوني هذه التخفيضات بحوالي 750 مليون دولار سنوياً، هذا وقد زاد الكيان معدلات الاستيطان، كما قدمت الجامعة العربية تعديلاً تنازلياً لما يسمى "مبادرة السلام العربية" يفضي بالسماح بتبادل الأراضي الفلسطينية، ومع تلمس الضعف "الإسرائيلي" من قبل الولايات المتحدة أجرى جون كيري وزير الخارجية الأمريكي زيارات مكوكية للمنطقة بهدف تحريك المفاوضات والتي استمر فريق أوسلو بالتمسك فيها رغم ضعف الكيان وتراجعه عن مشروع "برافر" أكبر مشاريعه الاستيطانية في جنوب فلسطين.

الموت يغيب القادة الثوريين

شهد عام 2013 غياب العديد من القادة الثوريين على مستوى العالم والمنطقة، فقد غيب الموت الرئيس الفنزولي والقائد الثوري "هوغو تشافيز"، كما فارق المناضل الكبير "نيلسون مانديلا" الحياة في هذا العام.

وفي تونس اغتالت قوى الفاشية المناضل اليساري الوطني الرفيق «شكري بلعيد» واغتيل أيضاً «محمد البراهمي» مؤسس حركة «التيّار الشعبي» المعارضة في تونس.

وشهد العام رحيل القيادي الفلسطيني سعيد موسى مراغة «أبو موسى» أمين سر اللجنة المركزية لحركة «فتح الانتفاضة»، كما رحل رفيق دربه الباحث والمفكر السياسي الياس شوفاني.

وفي سياق آخر أعلن القضاء الفرنسي الإفراج عن المناضل جورج عبدالله المعتقل منذ ثلاثة عقود في فرنسا ولاحقاً تراجع القضاء الفرنسي عن هذا القرار، وأفرج الكيان الصهيوني عن المناضل سامر العيساوي.

هذا وقد شهد عام 2013 بروز شخصيات سياسية هامة في الدول الصاعدة، فانتخب "نيكولاس مادورو" خلفاً لرفيقه الرئيس تشافيز، وأعاد الشعب الإكوادوري انتخاب الرئيس رافائيل كوريا ذي النهج اليساري. كما انتخب الرئيس حسن روحاني خلفاً للرئيس أحمدي نجاد في إيران،..

متغيرات التدخل الإمبريالي الأمريكي في النزاعات العالمية 2/2

منذ الانهيار الاقتصادي في عام 2008، تراجعت، بشكل كبير، قدرة النخبة الإمبريالية الأمريكية على القيام بحروب بالوكالة عن «إسرائيل». اتسعت الهوة بين الحاكمين والمحكومين في الولايات المتحدة، وأصبحت مشاكل الاقتصاد المحلي المنبعَ الرئيسي للقلق، عوضاً عن الإرهابيين الأجانب. وأخذ عموم الأمريكيين ينظرون إلى الشرق الأوسط، بوصفه منطقة الحروب المكلِّفة التي لا تنتهي، ولا تقدم أي فائدة لاقتصادهم.

■ بقلم : البروفيسور جيمس بيتراس

ترجمة وإعداد : نور طه

فقد أكد تقرير صادر عن «بيو للأبحاث»*، في أواخر عام 2013، على اتساع الفجوة بين آراء النخبة وآراء العامة في أمريكا، حيث كانت الإجابات التي حصدها الاستطلاع الذي تضمنه التقرير هامة جداً، فقد وافقت أغلبية العامة المُستطلَعة «52%» على الفكرة القائلة بأن على الولايات المتحدة أن تهتم بشؤونها على الصعيد الدولي. وأن تترك الدول الأخرى تحقق مصالحها بنفسها. وهذا يعكس ازدياد المعارضة الشعبية للتدخلات العسكرية الإمبريالية الأمريكية، ومن الجدير بالذكر هنا، أن نسبة الـ «52%» الحالية الرافضة للتدخل الإمبريالي في 2013 لم تكن تتجاوز الـ «30%» في عام 2002. ومن جهة أخرى، بات الرأي العام الأمريكي يميّز، بشكل واضح، بين التجارة والعولمة «الاسم الآخرَ للإمبريالية»، فقد فضّل «81%» من العامة التجارة كمصدر لخلق الوظائف، في الوقت الذي عارض «73%» منهم العولمة. إن الرأي العام الأمريكي يرفض أيضاً التوسّع الاقتصادي الإمبريالي والحروب، لما تسببه من أذى لاقتصادهم الوطني ولطبقة العمال والطبقة الوسطى. وتدرك النخبة الأمريكية جيداً مقدار التباين في المصالح والقيم والأولويات بين الشعب والدولة الإمبريالية، كما أنها تعلم بأن الحروب السابقة المستمرة والباهظة قد أدت إلى رفض عام لشن أي حروب إمبريالية جديدة، وإلى تزايد الطلب على إيجاد برامج توظيف محلية. إن الفجوة بين سياسة النخبة الإمبريالية وبين أغلبية الشعب هي إحدى أهم العوامل التي تؤثر على السياسة الخارجية للولايات المتحدة حالياً.

بين دفع الحلفاء وتريُّث الرأس

في هذه الأثناء، كان حلفاء أمريكا «إسرائيل – الحكّام التابعون في دول الخليج – الأوروبيون – اليابان» يدفعونها لتتدخل وتواجه خصومهم. ولتحقيق هذه الغاية، فقد قامت «إسرائيل»، والجسم الصهيوني المتواجد في الحكومة الأمريكية، بالتقليل من شأن مفاوضات السلام الأمريكية ـ الإيرانية. كما عملت السعودية، ودول خليجية أخرى إلى جانب تركيا، على حثّ الولايات المتحدة على مهاجمة سورية. أما الفرنسيون، فقد نجحوا من جهتهم بدفع أمريكا إلى حرب ضد حكومة القذافي في ليبيا، ومن ثم وجّهوا أنظارهم إلى مستعمرتهم السابقة «سورية».

أمام خيار استمرارها بالتصرف كقوة إمبريالية غير مقيدة وذات مصالح عالمية، وبالتالي مواجهة السخط والاستياء الداخليين، اضطرت الولايات المتحدة إلى مراجعة سياستها واستراتيجيتها الخارجية. حيث أنها بدأت بتبني وجهة نظر مختلفة قليلاً عن السابق، بما يجعلها أقل عرضةً لعمليات الاستغلال والضغوط الخارجية.

بدأ «بناة» الإمبراطورية الأمريكية، في ظل محدودية الخيارات العسكرية أمامهم، وانخفاض مستوى التأييد الشعبي لهم، باعتماد الخطوات التالية:

1» تحديد أولويات في عملية اختيارهم لأماكن القتال.

2» تنويع أدواتهم السياسية والاقتصادية والدبلوماسية الخاصة بالضغط والإكراه.

3» تحديد عمليات التدخل ذات النطاق الواسع والمدد الطويلة، في المناطق التي تضم مصالح استراتيجية أمريكية.

إلا أن ما سبق لا يعني أبداً بأن الولايات المتحدة قد تخلّت عن سياساتها العسكرية، ولكنها تبحث عن طرق جديدة لتفادي الحروب ذات الأمد الطويل والكلفة العالية، والتي قوّضت اقتصادها ورفعت منسوب المعارضة السياسية المحلية فيها.

صراعات تعمِّق أزمة المركز

تشمل قائمة الصراعات القائمة حالياً، والتي تهمّ واشنطن كلاً من «أوكرانيا» و«تايلند» و«هندوراس» و«اليابان – الصين – كوريا الجنوبية» و«إيران – دول الخليج» و«إسرائيل» – سورية» و«فنزويلا» و«إسرائيل» – فلسطين» و«ليبيا» و«أفغانستان» و«مصر».

بالنسبة للنزاع بين كل من الصين واليابان وكوريا الجنوبية، فإنه يبدو في الظاهر صراعاً على «كومة صخور»* لا فائدة اقتصادية تُرجى منها، إلا أنه في العمق ينطوي على خطة أمريكية لتطويق الصين عسكرياً عبر تحريض حليفتيها – اليابان وكوريا الجنوبية – على مواجهة الصينيين عند هذه الجزر. ومن الجدير بالذكر أن السياسة الأمريكية الحالية تجاه الصين تعكس صراعاً مستمراً بين تيارين، هما «الإمبرياليون العسكريون» من جهة، والمدافعون عن المصالح الاقتصادية الإمبريالية من جهة ثانية.

أما فيما يتعلق بالصراع الدائر بين أوكرانيا والاتحاد الأوروبي وروسيا، فإن المصالح الاقتصادية الأمريكية فيه هي مصالح ثانوية، ولكنه قد يتضمن مصالح عسكرية رئيسية لها. فإذا انضمت أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي، فإنها ستتحول إلى دولة تابعة أخرى، تخضع لإملاءات البيروقراطيين ورجال المصارف المتواجدين في بروكسل، كما جرى مع إسبانيا واليونان والبرتغال وإيطاليا. إن أكثر ما يهم أمريكا في هذه القضية، هو ضمان انضمام أوكرانيا إلى حلف شمال الأطلسي «الناتو»، كجزء من خطتها لتطويق روسيا.

وفيما يخص سورية، فقد لقيت محاولة التدخل الأمريكي فيها معارضة شديدة وواسعة في الكونجرس، ومن الرأي العام الأمريكي، ولم تجد تأييداً سوى من اللوبيات الصهيونية والسعودية المتواجدة في أمريكا. حيث تفوّق صوت الرأي العام الأمريكي على كل من صوت «القصف الإعلامي»، الذي مارسته وسائل الإعلام المؤيدة لـ «إسرائيل»، والضغوطات التي قام بها الرؤساء الاثنان والخمسون لـ «المنظمات اليهودية الأمريكية» الرئيسية، التي كانت تدفع إدارة أوباما وبكل نشاط نحو «المستنقع السوري».

يعدّ الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند الوجه أو الممثل الجديد للعسكرة والتدخل الإمبرياليين في إفريقيا، نظراً لما قامت به بلاده من عمليات قصف واسعة لليبيا، إضافة إلى غزو واحتلال مالي وجمهورية افريقيا الوسطى. وفي هذا السياق، فقد قبلت أمريكا بـ «دور داعم» لفرنسا، حيث أنها، وباستثناء حروبها بالوكالة في الصومال، لا تتدخل بشكل استراتيجي في افريقيا.

وفي فنزويلا، لا تزال واشنطن تواصل تمويلها لأحزاب المعارضة التي تؤيد استخدام الأساليب الغوغائية والعنيفة في الشوارع، وتخريب الخدمات العامة كالكهرباء. وبالتوازي مع هذا الدعم، فإن الإدارة الأمريكية باتت تعتمد على نخبة من رجال الأعمال المحليين، ليقوموا باحتكار السلع الأساسية، بغرض زيادة أسعارها. إلا أن جميع هذه المحاولات الرامية إلى زعزعة وتقويض الحكومة الفنزويلية قد باءت، حتى الآن، بالفشل.

تدرك النخبة الأمريكية جيداً مقدار التباين في المصالح والقيم والأولويات بين الشعب والدولة الإمبريالية

يرفض الرأي العام الأمريكي التوسّع الاقتصادي الإمبريالي والحروب، لما تسببه من أذى لاقتصادهم الوطني ولطبقة العمال والطبقة الوسطى

نقاط ضعف القوة الإمبريالية

تكمن نقطة الضعف الاستراتيجية الرئيسية الأولى في سياسة «بناء الإمبراطورية الأمريكية» في غياب الدعم المحلي، حيث تشهد الولايات المتحدة طلباً متزايداً على وظائف برواتب أفضل لعكس اتجاه الانخفاض العام في مستويات المعيشة الأمريكية، إضافة إلى المطالبة بحماية أكبر للخدمات والبرامج الاجتماعية. أما نقطة الضعف الاستراتيجية الثانية، فإنها تتجسد في عدم قدرة الولايات المتحدة على إنشاء «اقتصاد رفاه وازدهار» قابل للحياة.

في النهاية، فإن العائق الأساسي الأكبر أمام تكيّف السياسة الخارجية الأمريكية مع الحقائق الراهنة بشكل فعال، يتمثّل باللوبي «الإسرائيلي» ـ الصهيوني، الذي يتمتع بقدرة تأثير كبيرة في الولايات المتحدة، والذي يتواجد في كل من الكونجرس والإدارة الأمريكية ووسائل الإعلام العامة، فالصهاينة ملتزمون بشدة بدفع أمريكا لخوض المزيد من الحروب من أجل «إسرائيل». ومع هذا، فإن التوجه نحو المفاوضات مع إيران، ورفض قصف سورية، والامتناع عن التدخل في القضية الأوكرانية، تعدّ مؤشرات على أن واشنطن أصبحت أقل ميلاً نحو التدخل العسكري واسع النطاق، وأكثر تقبلاً للرأي العام الذي يفرض قيوداً على ممارسة القوة الإمبريالية.

■ هوامش

بيو للأبحاث* : مؤسسة بحوث أمريكية تُعنى بتقديم معلومات حول القضايا الاجتماعية والرأي العام في الولايات المتحدة والعالم.

كومة صخور* : استخدم السيد بيتراس هذا التعبير للإشارة إلى جزر «دياويو» أو «سينكاكو» المُتنازع عليها «المترجم».

وجدتها

د. عروب المصري
aroub@kassioun.org

استيقظ الأوغاريتي

على الرقم الفخارية التي اكتشفت أثناء أعمال التنقيب في أوغاريت كتب الأوغاريتيون منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد سيرة مدينتهم وحياتها باللغة الأوغاريتية ومن ضمن ما كتبوه كان قوائم كبيرة عن أنواع الطيور والأسماك والنباتات، فهل كان ذلك مصادفة؟

وهل هي مصادفة أننا وفي العام 1998 أصدرنا أول قوائم حديثة لنباتات وحيوانات سورية، إنه زمن طويل جداً يقدر بالآلاف من السنين يفصل بين الحادثتين، وليس ذكر هذا الزمن الطويل إلا تذكيراً إلى أن هذه المهمة الضرورية جداً وهي توثيق تاريخنا الطبيعي هي جزء من عملية قامت بها البشرية طويلاً وليس مشروعاً مموّلاً من الأمم المتحدة كما قد ينظر إليه البعض، «قد ينفعنا في إرضاء المؤسسات الدولية»، وليس ما يرافق مثل هذا العمل من جهود للمئات من الباحثين إلا القاعدة الأساسية للاستفادة من هذه الثروة الوطنية النائمة تحت أعيننا، والتي تنتظر من السوريين الاستفادة من تنوعها كأهم ثرواتنا بدلاً من تركها تتقرض وتباد تحت أنظارنا وتسرق من بين أيدينا ونحن نيام. عاد الأوغاريتي الراقد فينا ليستيقظ.

حقيقة وسائل الإعلام وحرب الدعاية والنظام العالمي الجديد

شنّ الغرب في أيام الحرب الباردة عدة حروب غير شرعية ضد كل من يوغسلافيا وأفغانستان والعراق وليبيا، وقد كان ينوي أن يقوم بالأمر ذاته في سورية. وقد تمكن الغرب من تفادي ردات الفعل المضادة وأن يخلي مسؤوليته في هذه الحروب نظراً لهيمنته على الإعلام الذي تتحكم به الشركات، إضافة لاستفادته من التقبّل السلبي الذي تبديه معظم وسائل الإعلام في العالم للتفسيرات التي يقدمونها للأحداث العالمية. ومن هنا فإن كلاً من الإعلام البديل* والإعلام الأجنبي يكتسب أهمية كبيرة. خصوصاً وأنه بالنسبة للعديد من الناس في الغرب، فإن الحقيقة الوحيدة التي يمكنهم الحصول عليها تأتي بشكل متزايد من المصادر الإعلامية الأجنبية أو المصادر غير المسيطر عليها من الشركات الكبرى.

■ ترجمة وإعداد : نور طه

أجرت «صوت روسيا»* حديثاً مع السيد ريك روزوف* حول الإعلام والنموذج الحالي حيث بدأت الصحافة تفقد الشرف والمبادئ التي كانت تتمتع بها سابقاً.

– روزوف : إننا نشهد اليوم مشادةً عسكرية كبيرة في بحر الصين الشرقي حيث أعلنت الصين مؤخراً عن منطقة جوية فوق ما تسميه بـ «جزر دياو» وما تسميه اليابان بـ «جزر سينكاكو». وفي هذا المجال، فإننا حين نشير إلى هذه الجزر 100% باسم «سينكاكو» وفق التسمية اليابانية، فإننا نقدم خدمة نموذجية للصحافة الأمريكية.

– المذيع : إن ما نشهده هو نوع من إعادة رسم للخريطة السياسية للعالم، الأمر الذي كان من الممكن في ظروف مغايرة ومعاكسة أن يتسبب بوقوع حرب ما. ولكن هذا لا يعني أن «حرب الافكار» القائمة تقل خطورة عن الحروب السياسية والاقتصادية وو.. إلخ. وهنا أريد أن أسألك: هل تعتقد أن حكومة الولايات المتحدة تشن الآن حرباً على الصحافة والصحفيين، وخاصة أولئك الذين يسعون منهم لكشف الفساد والحقائق، أو على اي أحد يعارض سياستها العامة؟

– روزوف : إن هذا صحيح، وهذا يعيد التذكير مجدداً بأيام الحربين الباردة والعالمية الثانية، فقد كان الصحفيون يتعرضون للسجن والتعذيب والقتل في الفترة التي أصبحت فيها ألمانيا النازية القوة المهيمنة الوحيدة على أوروبا الوسطى، وإننا حالياً نشهد وضعاً أسميه بـ «العهر الصحفي» حيث أني لا أستطيع التفكير بوصف آخر له، حيث أصبحت الصحافة الآن عملاً مربحاً أكثر من كونها مهنة.

وهذه ظاهرة غربية واضحة لجهة انتشار «إعلام الشركات» وتكتّل وسائل إعلام «الترفيه الشامل» التي تدير مواقع إخبارية مفترضة، بحيث تصدر الصحف والبرامج الإخبارية التلفزيونية والإذاعية عن الشركات ذاتها التي تنشر الإعلانات التجارية وأشرطة الفيديو والموسيقا والرسوم الكرتونية. وبالتالي، فإننا لم نعد نحظى بأولئك الصحفيين المستعدين للخروج والقتال من أجل قصة ما لأن هذه الأمور لم تعد تجلب لهم المال بعد الآن.

إن ما يهم اليوم بشكل أساسي هو الإطار الذي ننظر منه إلى ما يحدث حولنا، فما هو الإطار الذي ينظر منه الشخص إلى المشهد العالمي؟ وهل هي نظرةٌ تقوم على الإنصاف والعدل والسلام والتطور والمساواة، أم لا ؟ فإذا كانت هذه النظرة نحو العالم ناشئة على الأسس التي تبتغيها وتروج لها الصحافة الأمريكية والفرنسية والبريطانية والألمانية، فإنها ستكون نظرة محدودة وضيقة ومتحيزة ولا تمثل واقع العالم أوحقيقة أخباره.

وهنا أريد التذكير بنقطة مركزية أخرى، فأنا أعتقد أن الناس يتجاهلون حقيقة امتلاك الحكومة الأمريكية لصحافة مطيعة، بما في ذلك وكالتا «أسوشيتد برس» و «رويترز» رغم إدعائهم الاستقلالية. ولا ننسى هنا بالطبع ما تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية من مراقبةٍ واسعة طالت كل مكالمة هاتفية وكل ضربة مفتاح وكل زيارة يقوم بها أي أحد على هذا الكوكب. إن هذا أمرٌ مخيف بحق، ومن الجدير بالذكر أن الشخص المسؤول عن «وكالة الأمن الوطني» هو الجنرال كيث الكسندر، وهو الشخص ذاته الذي كان مسؤولاً عن «قيادة الفضاء الإلكتروني الأمريكية»، وينبغي لهذا الأمر أن ينبه الناس إلى أن ما نتعامل معه الآن ما هو إلا نمطٌ جديد من العمليات القتالية. وهو تحديداً ما يسميه البنتاغون بالحرب الإلكترونية، أو الميدان الخامس للمعارك بعد ميادين البر والبحر والجو والفضاء.

– المذيع : ويبدو في حالتنا الراهنة أن هذه المعركة لم تعد تستهدف الجيوش والحكومات فحسب، بل إنها باتت تستهدفنا أنا وأنت.

■ عن موقع «جلوبال ريسيرتش»

هوامش :

ريك روزوف* : مدير موقع «أوقفوا الناتو» ومراسل لموقع «جلوبال ريسيرتش».

الإعلام البديل* : وسائل الإعلام المختلفة من صحف وإذاعة وتلفزيون ومجلات وأفلام وإنترنت.. إلخ، والتي توفّر معلومات بديلة للإعلام في سياق معين، سواء كان هذا الإعلام تجارياً أو مدعوماً من الجماهير أو حتى مملوكاً من الحكومة.

صوت روسيا* : إذاعة حكومية تقوم ببث برامجها إلى مختلف بلدان العالم.

العلم وأدواته

يؤكد البعض أن تطور العلم يتوقف على تطور أدواته، كما تتوقف النتيجة على السبب. وهذا نتيجة طبيعية للمبدأ العام الذي ابتدعه لوريا، وتبناه البعض حول الوظيفة التاريخية ل «أداة الإنتاج والعمل» «التي حلت محل مجمل علاقات الإنتاج».

غير أن علم الجيولوجيا لا يستخدم من الأدوات سوى المطرقة. والتقدم التطنولوجي في صناعة المطارق لا يمكن أن يقارن بتقدم الجيولوجيا. وإذا كان يمكن اختزال تاريخ العلوم إلى تاريخ أدواتها كما يدّعى فكيف يمكن كتابة تاريخ الجيولوجيا؟ لن يجدي القول إن الجيولوجيا تعتمد أيضاً على تقدم مجموعة من العلوم الأخرى، ومن ثم يساعدنا تاريخ أدوات هذه العلوم على وصف تاريخ الجيولوجيا، لأن هذا المخرج لن يؤدي إلا إلى تعميم عقيم، وسوف يلجأ في النهاية إلى فكرة علاقات الإنتاج. وعلى الجيولوجيا أن ترفع شعار «بالعقل والمطرقة» فهو الشعار الملائم.

ويمكننا أن نقول بصفة عامة إنه لا يمكن توثيق تاريخ العلم توثيقاً «مادياً». وأقصى ما يمكننا أن نفعله، هو استدعاء التاريخ الحي للعلوم من خلال وصف التحسين المطرد للأدوات التي كانت إحدى وسائل تقدمها، وللآلات التي كانت تطبيقات للعلم ذاته، وحتى هذا الوصف غير ممكن في كل الأحوال. و«الأدوات» الرئيسية للتقدم العلمي، هي أدوات ذات طبيعة فكرية «بل وسياسية» ومنهجية. وقد كتب انجلز أن «الأدوات الفكرية» لم تنشأ من العدم، وهي ليست فطرية بل اكتسبها الإنسان وتطورت تاريخياً.

فالعلوم الرياضية مثلاً لا تحتاج إلى أية أدوات مادية، وهي ذاتها «أداة» لكل العلوم الطبيعية.

■ عن كراسات السجن لأنطونيو غرامشي

«مرحباً..عذراً.. هل انت إنسان؟»

نظر الوجه الاصطناعي بعيون بشرية إلى الحاضرين، وأخذ يلتفت حوله كمن يرى هذا الجمع الكبير للمرة الأولى، توسعت حدقتا عينيه، ورفع حاجبيه مندهشاً، أخذت الدارات الالكترونية تعمل بنشاط في رأسه وتعالج جميع الصور التي تلتقطها عيناه، اقترب منه أحد المشرفين على هذا الحدث الكبير، وشق طريقاً بين جموع المصفقين والمعجبين من الحاضرين ، ثم بدأ بالضغط فوراً على بعض الأزرار ليعدل من حساسية «العينين» التي صدمت بكل هذا «الترحيب»، لقد ذهل الحضور من ردة الفعل «البشرية» الصادقة التي أظهرها هذا الإنسان الآلي، لقد استثارت أضواء الكاميرات الخاطفة حواسه وأخذ يلتفت متعجباً ووجهه البشري - الصنعي يعكس كل ما «يشعر» به.

■ سمير حنا

«يشعر».. هل من الجائز قول هذا؟ هل يمكن لهذه المجموعة المرتبة من الدارات أن« تشعر»؟ لقد قام العلماء المشرفون على تشكيل هذا السبق العملي بتصنيع وجه كامل لهذا الروبوت، وجه بشري إلى أبعد الحدود، تحوي بنيته على عدد من الخلايا الذكية المصممة خصيصاً للتعامل مع انعكاسات الروبوت الشعورية، فكانت النتيجة مدهشة إلى حد كبير، إنه إنسان آلي قادر على التعبير عن نتائج تحليله لمعطيات الواقع عن طريق ملامح الوجه، إنه بلا شك سبق علمي مثير لكنه بالتأكيد سيثير عدداً كبيراً من علامات الاستفهام، أين سينتهي كل هذا وقد بدأت الروبوتات بـ«الإحساس»؟

إنه ليس بالسؤال الجديد، لقد أخذ هذا الموضوع قدراً كبيراً من الاهتمام، وقد تنبأت العديد من روايات الخيال العلمي بسيناريوهات سوداوية عن هذا الجانب من التطور التقني، رأى البعض روبوتات تحكم الأرض وتستعبد البشر، وقد تستخدم طاقة أجسامهم كبطاريات حيوية كما ترى سلسلة أفلام «Matrix» الخيالي، أو سلسلة the terminator الشهيرة، حيث تسعى الآلات للقضاء على البشر كلياً، وفي المقابل، تحدث البعض عن مستقبل يكون الاعتماد الكلّيّ فيه على الروبوت، سيكون موجوداً في كل بيت، سيقوم بكل الأعمال الشاقة، سيساعد البشر في شراء مستلزمات البيت من السوبر ماركت، سيعرف بالضبط مواعيد جرعات الدواء بالنسبة للمرضى؛ فضلاً عن أنه يتمتع بالذكاء الاصطناعي، أي أنه سيتعامل ليس كأداة ذات ردود أفعال محفوظة؛ بل كصديق ذكيّ ومثقف ستستمتع بالتحدث معه، أي أن هذه الفكرة قد سحرت وروعت الناس في آن واحد، بعد أن غذت الروايات والأفلام خيالنا الجامح، والآن يعد جيل جديد من آلات الذكاء الصنعي بطفرة في هذا المجال، وبعد أن أصبح أحدثها قادراً على إجراء العمليات الفكرية وإظهار الانعكاسات الشعورية الناجمة عنها.

على كل حال، التقدم التكنولوجي في هذا المجال مازال في مراحله الأولى، وستبقى هذه السيناريوهات في حدود الخيال إلى وقت ما، لكن ظهور الروبوتات«الحساسة» ذات الوجوه البشرية قد دفع بعض العلماء إلى معالجة هذه الظاهرة من أوجه أخرى، فقبل ثماني سنوات، كان «كارل ماكدورمان» يعمل حتى وقت متأخر في جامعة أوساكا باليابان عندما دبت الحياة فيّ جهاز الفاكس لديه حوالي الساعة الواحدة صباحًا وأخرج مقالًا عمره 35 عامًا باللغة اليابانية أرسله إليه أحد زملائه، أسر المقال اهتمام ماكدورمان الذي كان يعمل وقتها على تصميم روبوتات تتسم بالواقعية المفرطة. حذر المقال أنه إذا ما أصبحت الروبوتات الاصطناعية تشبه الهيئة البشرية إلى حد كبير سيشعر الناس بالنفور. ومن ثم أعد مع زملائه ترجمة إنجليزية سريعة لهذا المقال وأطلقوا على هذه الظاهرة اسم «وادي النفور».

تتخلص هذه النظرية في أن سمات الوجه والجسم غير الطبيعية يمكن أن تدفع بعض الناس لتجنب الآخرين، حيث يؤمن بعض الباحثين أن التصميمات الاصطناعية الشبيهة بالإنسان تثير أعصابنا بشدة. كان المقال الذي قرأه ماكدورمان قد نُشر عام 1970 بقلم عالم الروبوتات ماساهيرو موري، وكان عنوانه «وادي الخوف». وتناول المقال قدرة الروبوتات الشبيهة بالإنسان على إثارة شعور عجيب بعدم الارتياح لا تسببه الروبوتات الآلية الأخرى، حيث شهد عام 2011 مزيدًا من الأدلة قدمتها دراسة ثانية معتمدة على جهاز التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي. بدأ الباحثون في مراقبة النشاط المخي للأفراد وهم يعرضون عليهم مشاهد مصورة لروبوت آلي وإنسان وروبوت شبيه بالإنسان معروف بقدرته على إثارة رد الفعل المميز لظاهرة «وادي النفور». وقد شاهد المشاركون كلًا منهم وهو يؤدي الحركة نفسها، إلا إن أحدهم تسبب في نتيجة مختلفة إلى حدّ ملحوظ، فعندما شاهد المشاركون في التجربة الإنسانَ أو الروبوت الآلي يسير، لم يُظهر المخ نشاطًا ملحوظًا، لكن عندما حاول مخ المشاركين استيعاب الروبوت الشبيه بالإنسان وهو يؤدي الحركة نفسها، زاد النشاط إلى حد كبير في القشرة الحركية والقشرة البصرية بالمخ.

لا تزال هذه الدراسة خاضعة للكثير من التمحيص، لكنها خلصت إلى نتائج هامة إلى الآن، فطالما ندرك أن الروبوت أو الشخصية الافتراضية ليس آدميًا، فلن نسمح له بعبور «وادي النفور»، حتى إن وجد العلماء وسيلة لتصميم كائنات اصطناعية ذات سمات مطابقة للسمات البشرية، فقد تستمر في إثارة شعور بعدم الارتياح إذا عرفنا أنهم ليسوا مثلنا، ربما يكون هذا هو ما قصده موري عندما –عقب سنوات من كتابته لمقاله – سأله مراسل صحفي، عما إذا كان يعتقد أن الجنس البشري قد يتمكن يومًا من صنع روبوت يعبر «وادي النفور» إذ رد عليه قائلاً: «ولماذا نحاول أصلاً؟»

ربما تمثل فكرة استحالة عبور «وادي النفور» خبرًا سيئاً لمصممي الروبوتات، لكنها كذلك تمثل علامة على أمر سوف يجده الكثيرون مطمئنًا، ألا وهو وجود نوع بعينه من التعاطف لا يتبادله سوى البشر، وهذا مهم جداً في عالم مستقبلي يراه البعض مخيفاً، فقد يضطر أحدنا إلى سؤال الجالس بجانبه في المستقبل: «هل أنت روبوت أم إنسان» ؟!!

تمثل فكرة استحالة عبور «وادي النفور» خبرًا سيئاً لمصممي الروبوتات، لكنها كذلك تمثل علامة على أمر سوف يجده الكثيرون مطمئنًا، ألا وهو وجود نوع بعينه من التعاطف لا يتبادله سوى البشر

أخبار العلم

أفضل 10 اكتشافات علمية لعام 2013

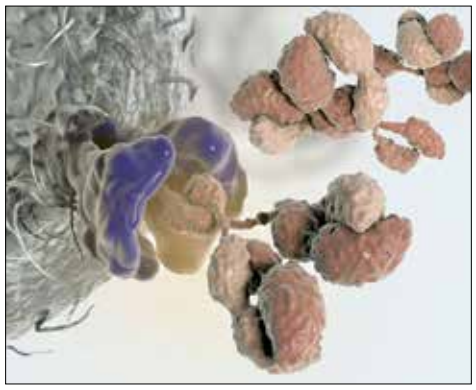

اختارت مجلة Science أفضل 10 اكتشافات علمية لعام 2013 واعتبرت أن أفضلها هو

1– العلاج المناعي للأورام الخبيثة.

2– التكنولوجيا الجديدة لتعديل الجينات CRISPR تسمح هذه الطريقة بمعالجة مختلف الأمراض ليس بتناول الأدوية والعقاقير الطبية، بل عن طريق إجراء تعديلات على الجينات. وقد نشر خلال عشرة أشهر أكثر من 50 بحثا عن هذا الاكتشاف الكبير، حول اختبارات الحمض النووي للفئران والبكتريا والخمائر والديدان والخلايا البشرية. الفضل في كل هذا يعود إلى بروتين Cas 9 الذي يساعد على تنشيط وإزالة وتغيير جينات معينة.

3– تكنولوجيا CLARITY – تسمح هذه التكنولوجيا بتغيير الطرق المستخدمة في دراسة الدماغ، حيث توصل العلماء بواسطتها إلى جعل نسيج الدماغ شفافا كالزجاج. ولأجل الوصول إلى الهدف المنشود غيّروا الجزيئات الدهنية التي تشتت الضوء والتي تكوّن أغشية الخلايا بجزيئات الهيليوم الشفافة. مع بقاء الخلايا العصبية وغيرها من خلايا الدماغ على وضعها وشكلها

4– الحصول على خلايا جذعية من أجنة بشرية مستنسخة. تستخدم في هذه الطريقة طريقة نقل نواة الخلية، كما حصل قبل 17 سنة باستنساخ النعجة دوللي. ولكن في هذه السنة تمكن العلماء من الحصول على خلايا جذعية من أجنة بشرية مستنسخة، بعد أن اكتشفوا الدور المهم للكافيين في استقرار خلايا البويضة.

5– زرع الأعضاء الاصطناعية – تكللت جهود العلماء خلال هذه السنة بإنماء أعضاء بشرية مثل الكبد والرئتين وأيضا أنسجة الدماغ البدائية. الدماغ الاصطناعي الذي حصل عليه علماء نمساويون يختلف عن الدماغ الطبيعي، حيث أنه بانقطاع إمدادات الدم تتوقف خلايا الدماغ عن النمو عند بلوغها حجم بذرة التفاح، وتموت من دون الأوكسجين والمواد المغذية.

6– بفضل تلسكوب Fermi الفضائي أثبت الفلكيون أن مركز تكون الأشعة الكونية التي تخترق طبقات الغلاف الجوي للأرض هو توهجات السوبرنوفا والانفجارات الهائلة الناتجة عن نهاية تطور النجوم.

7– البحوث في مجال صنع منظومات كهربائية ضوئية جديدة. أي بطاريات شمسية باستخدام تيتانات الكالسيوم – perovskite على الرغم من أن فعاليتها ما زالت أقل من البطاريات الشمسية التي تستخدم السيلكون.

8– البحوث الخاصة بالجواب عن سؤال – لماذا ننام؟. المهمة الأساسية للدماغ في أثناء النوم هي غسل كل المواد المضرة والسموم التي تتراكم في اليقظة.

9– تحديد الأجسام الدقيقة التي تعيش في جسم الإنسان، والمسؤولة عن صحته، أو التي تسبب المرض. دراسة ميكروبات معينة ومدى تأثيرها على صحة الإنسان تعتبر الخطوة الأولى على طريق الطب الشخصي.

10– استخدام آليات البيولوجيا التركيبية للحصول على لقاح ضد الفيروس التنفسي المخلوي RSV. يصيب هذا الفيروس سنويا الجهاز التنفسي لملايين الأطفال دون السنتين من العمر، حيث ينتقل عن طريق الهواء واللعاب واللمس وغيره ويصيب الجهاز التنفسي المخلوي في فصلي الخريف والشتاء وقد يستمر إلى فصل الربيع.

الأسماء.. الحياة في حروف..

القطار مزدحم والطريق طويل، مئات من البشر قد كّدسوا في عربات تعبر أرجاء الهند الواسعة، في إحداها يجلس أحدهم وهو يقرأ أحد الكتب، إنها رواية «المعطف» للكاتب الروسي «نيكولاي غوغول»، يمر الوقت ببطء على الشاب المسافر، ها هي رحلته السنوية لرؤية جده في ساعاتها الأولى، و لا بد من إضاعة بعض الوقت لنسيان هذا الاختناق البشري، لقد اعتاد على الاستنجاد برفقة الكتب لتجاوز متاعب هذه الرحلة، وها هو يحاول إكمال الصفحات الأولى عبثاً، لكن في مقطورته رجل غريب كثير الكلام، بدأ بالحديث عن أسفاره ومغامراته، أسره الحديث ومنعه من إكمال الكتاب، إلى أن أنهى الرجل كلامه واعتدل في جلسته وقال : «يا بني.. احزم وسادتك وغطاءك وارحل .. تفرج على العالم.. لن تندم أبداً»

■ يسار صالح

نظر إليه الشاب مبتسماً وأشار إلى كتابه وقال: «يقول جدي دوماً أن الكتب وجدت لهذه الغاية بالذات، لكي تسافر دون ان تتحرك إنشاً واحداً» هز الرجل رأسه راضياً وترك الشاب ليكمل القراءة، لكن القطار سرعان ما سيدخل في نفق مظلم لن يخرج منه إلا حطاماً بعد أن خرج عن السكة وقذف بركابه أشلاءً مبعثرة.

إنها المشاهد الأولى لفيلم «The Namesake» للمخرجة والكاتبة والمنتجة والممثلة الهندية المميزة «ميرا ناير»، والتي اختارت إحدى أكثر الروايات تأثيراً ومبيعاً لتكون المادة الأساسية لفيلمها هذا، رواية الكاتب «جومبا لاهيري» التي تحمل الاسم ذاته، تبدأ القصة بتعرفنا على الشاب البنغالي «أشوك» وتنطلق من رحلته في ذاك القطار والتي كادت أن تودي بحياته لتستعرض لمحات من حياته وأسفاره، لقد عمل «أشوك» بنصيحة ذلك الرجل وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليكمل دراسته هناك، ثم عاد شاباً طموحاً ناجحاً في عمله إلى الهند بناء على رغبة أهله في زواج مدبر مع إحدى الجميلات من معارفهم، «أشيما» المغنية في إحدى معابد الهند، فتاة مميزة تواقة للاكتشاف والسفر بعيداً، لكنها ستلاقي عظيم المعاناة بعد الزواج والسفر إلى أمريكا، وستقف اللغة والناس ونمط العيش عائقاً أمام اندماجها مع هذه الثقافة الجديدة وستلقي بظلالها على علاقتها بزوجها الجديد، لكنها ستجد عملاً في إحدى المكتبات لتغرق في عالم من الكتب ينسيها جميع تلك الهموم.

بعد عدة سنين، ينجب «أشوك» و «أشيما» ابنهما البكر، وأسماه الأب «جوجول» تيمناً بالكاتب ذاته الذي حمل روايته في رحلته داخل قطار الموت، الرحلة التي غيرت حياته، فيكبر «جوجول» في هذه البلاد غريباً ومشتتاً بين هويته الهندية وحياته الأمريكية حتى انتهى به المطاف لتغير اسمه إلى «نيكي» حتى ينال إعجاب صديقته الأمريكية التي أحبها، إلى أن عاد بعد سنين زائراً إلى الهند، وافتتن بكل ما فيها، وأحس بعمق المعاني التي تحملها هويته الأصلية. وتتعاظم أهمية تلك التفاصيل في حياته مع وفاة والده المفاجئ وتعلقه بأمه الوحيدة، فيعلن انفصاله عن حبيبته الأمريكية التي لم تستطع استيعاب نمط تفكيره الجديد هذا، ويقرر الزواج من فتاة هندية زواجاً تقليدياً يدخل الطمأنينة إلى قلب أمه ويذكّر المشاهد بقصة الأب «أشوك» تكرر لكن بقالب معكوس تماماً.

كيف يمكن للتقاليد والعادات اللطيفة أن تموت في الشقق الباردة والغرف الوحيدة والأماكن الغريبة والجديدة وكيف يمكن للتقاليد ذاتها التي أعاقت اندماجنا يوماً أن تزهر في تلك الأماكن ورود جميلة

الفيلم باللغة الإنكليزية، لكن عبق الهند وتراثها لم يغادر تفاصيل جميع المشاهد، رافقتها الموسيقا التصويرية الهندية التقليدية في مزيج ساحر مع المقطوعات الموسيقية المعاصرة، و في إيحاء عميق لمدى التناقض الذي تعيشه تلك العائلة بين ثقافتين متناقضتين، حتى أنك ستسمع ضربات قلب الأم الملتاعة على وفاة زوجها المفاجئ، وستفاجئ بتحول خيبة الأمل والعشق والغفران إلى ألحان تحبس الأنفاس، سترى كيف يمكن للتقاليد والعادات اللطيفة أن تموت في الشقق الباردة والغرف الوحيدة والأماكن الغريبة والجديدة، وكيف يمكن للتقاليد ذاتها التي أعاقت اندماجنا يوماً أن تزهر في تلك الأماكن ورود جميلة تصدح بالأناشيد والغناء، سترى كيف تحولت تلك التفاصيل الجميلة البسيطة التي تربينا عليها من كتل جليدية تعيق تواصلنا إلى شموس ضاحكة تشرق على ليلنا الطويل في بلاد الغربة.

إنه الفيلم الأصدق عن الأعباء والهموم في تحدي المألوف والتعلق بالجديد والمثير، عن المعنى الحقيقي للاكتشاف والانطلاق لبناء حياة جديدة، يحكي لنا عن عبق الماضي الممزوج بأدق دقائق تفاصيل حياتنا، عن ذكريات الطفولة ومعنى العائلة و والمنزل والوطن تنساب مع أصدق تعابيرنا اليومية دون مواربة أو مزاودة، تتدفق في أفراحنا وأحزاننا، في الحب والبغض، باقية كحروف أسمائنا لا تمحى.

القطط الضامرة

■ ضيا اسكندر

بعد أن اتبعتُ نهجاً جديداً في حياتي مفاده: «مقاطعة وسائل النقل المأجورة ما استطعتُ إلى ذلك سبيلا..» لسببين؛ أولهما زيادة أجور النقل بسبب ارتفاع سعر المازوت، وغياب العدالة في تسعيرها. وثانيهما أنني أُصبتُ بالكولسترول اللعين والشحوم الثلاثية البغيضة، بالرغم من امتناعي – قسراً – عن تناول البيض واللحوم وكل مشتقات الحليب.. واكتفيتُ بأرخص أنواع الخضروات أشتريها من أتعس بائع في الحيّ. وقد نصحني الأطباء بضرورة ممارسة رياضة المشي يومياً ولمدة ساعة على الأقلّ. محذّرين: «وإلا؛ فإذا اكتفينا في المرة السابقة لدى إصابتك باحتشاء في العضلة القلبية بتركيب شبكة في شرايينك، فإننا في المرة القادمة قد نضطر لإجراء عملية القلب المفتوح.. وقد أعذر من أنذَر» وللأمانة فقد نفّذت تحذيراتهم ببيروقراطية عجيبة. أتمشّى يومياً ولو في البيت إذا لم تسمح لي الظروف الخروج منه. وقررتُ الذهاب إلى عملي صباحاً سيراً على الأقدام. حيث يستغرق معي هذا المشوار حوالي نصف ساعة ذهاباً ومثلها إياباً.

وبسبب نزقي ونفوري من الروتين، فإنني أختار كل يوم طريقاً جديداً «فكلّ الدروب تؤدّي إلى مقرّ العمل».

وذات صباح قرّرتُ اختيار أبعد طريق يوصلني إلى مبتغاي. فقد كان لديّ متسع من الوقت بعد تغيير التوقيت الصيفي وتأخير الساعة «60 دقيقة». قلت في نفسي منذ بداية الأحداث واندلاع المظاهرات لم أزرْ تلك المناطق التي كانت مرتعاً لها.. ومن المفيد الاطلاع على ظروفها بعد كل هذه الأشهر من الاشتباكات الدامية..

عرّجتُ إلى أحد أفقر الأحياء في محافظتي لأرى ماذا فعلت الحكومة من إنجازات لإرضاء هذا الشعب الغاضب؟ كان الوقت باكراً والجوُ يميل إلى البرودة.. لدى بلوغي الحيّ بدا هادئاً تماماً، ربما بسبب خلوّه من المارة، وقفتُ متأملاً مراقباً كل ما يقع تحت بصري. أول ما لفت انتباهي حواجز الجيش على بوابات الحيّ. مررت بأحد الحواجز وحيّيت العناصر المناوبين بتحية الصباح، كان ردّهم جميلاً ولم يسألني أيّ منهم عن بطاقتي الشخصية ربما بسبب «شيبتي».

لدى توغّلي أكثر في أزقّته، وابتعادي عن رقابة عناصر الحاجز، تأمّلتُ الجدران العتيقة للحيّ، والعبارات المكتوبة بخطٍّ رديء متهدّل والمشطوبة بقسوة. دقّقت النظر بحبال الغسيل، أغلبها معلّق عليها ثياب لنساء وأطفال! السؤال الذي قفز إلى ذهني مباشرةً: «الكبار أين هم؟ هل هم في غياهب المعتقلات؟ أم التحق بعضهم بالمسلحين؟ أم أن الوقت ما زال مبكراً ولم يستيقظوا بعد؟».

الشوارع على حالها من البؤس، بل يمكنني القول إنها ازدادت بؤساً قياساً بآخر مرة زرتها قبيل الأحداث. الحفر في كل مكان والكثير من أكياس النايلون الفارغة وبقايا الأشياء الخفيفة تحركها الرياح وتنقلها من مكانٍ إلى آخر. السليم من مصابيح أعمدة الكهرباء ما زال مضاء! تُرى، هل الغاية رصد أيّة حركة في هذا الحيّ آناء الليل وأطراف النهار؟! أم بسبب إهمال شركة الكهرباء؟! لاحظتُ

حاويات الزبالة شبه فارغة. وبعض القطط الضامرة تسرح ببطء وقد أنهكها الجوع. لا تقوى على اصطياد فأرة فيما لو وُجِدَت. وهذه القطط ليست مغرية البتّة لاعتمادها «وجبة» بعد صدور فتاوى تجيز التهامها في ظلّ هذا الحصار الجائر. فهذه القطط لا تملك سوى جلدها وعظمها. عندها تذكّرتُ بحرقة قول أحد المفكرين: «لمعرفة تقدّم ورقيّ أيّ شعب من الشعوب، عليك بالنظر إلى حقوق المرأة لدى هذا الشعب». قلت في سرّي اسمح لي أيها المفكر بالإضافة: «ولمعرفة سعادة أيّ حيّ من الأحياء، عليك بالنظر إلى قططه».

من الجانب الخفي لأنطون تشيخوف..

عثر بين أوراق أنطون تشيخوف غير المنشورة على سلسلة من القصاصات داخل مغلف يحمل هذه الكلمات: «موضوعات، أفكار، ملاحظات، شذرات»، ثم كشفت زوجته أولغا ليوناردوفنا كنيبر عن مفكرته التي كان يدون فيها مداخل منفصلة تتعلق بأعماله المستقبلية وأحلامه والاقتباسات التي أحبها. أعاد تشيخوف نسخ هذه المتناثرات في دفتر آخر، بعد شطب ما أدرجه ضمن كتبه المطبوعة أثناء حياته، وقد أولاها اهتماما خاصاً ولم يؤرخها عموماً على غرار اليوميات المعهودة. هذا هو الجانب الخفي لدى كاتب كبير لم يكتب قط على مرأى من أحد.

لقد حطمت شعور غريغوري ايفانونفيتش وأهنته إهانة بليغة. فقد استفزتني الكلمات المعسولة واستفزني قائلوها، ولدى وصولي إلى البيت تأملت الأمر على النحو التالي: البعض ينددون بالعالم، والبعض الآخر يستهجن الجماهير، وفحوى القول مديح الماضي وإلقاء اللوم على الحاضر، إنهم يزعقون بانعدام القيم وهلمجرا، ولكن هذا كله قد قيل منذ عشرين أو ثلاثين سنة، فهذه صياغات بالية خدمت عصرها، وكل من يرددها الآن رثّ أيضاً وفاقد نضارته. إذ مع ذبول أوراق السنة الفائتة يذوي أيضاً أولئك الذين عاشوا خلالها.

فكرت، نحن المستهلكين، غير المتنورين، أصحاب الكلام العادي، النمطيين في طموحاتنا، قد عفا علينا الزمن، وفي حين أننا نحن المثقفين ننقب وسط الأسمال المهترئة، ونتعاض بحسب الأعراف الروسية القديمة، تضطرم حولنا حياة لا نعرفها ولا نلتفت إليها. ستأخذ أحداث جسيمة بتلابيبنا ونحن غافلون، مثل جنيات نائمات، وسوف ترون أن سيدوروف التاجر ومعلم المدرسة في يليتز اللذين يعرفان ويريان أكثر منا، سيقصياننا إلى المؤخرة لأنهما سينجزان ما لا نقوى على إنجازه كلنا مجتمعين.

وفكرت لو تسنى لنا الآن نيل الحرية السياسية التي نسهب في الحديث عنها، بينما نحن متكالبون على تبادل العض، فلن نعرف ماذا سنفعل بها، سنهدرها في كيل الاتهامات لبعضنا البعض على صفحات الجرائد بإطلاق نعوت المخبرين والجشعين، وسوف نفزع المجتمع بالسفاهة التي تكشف أن لا رجال بيننا ولا علم ولا أدب، ولا أي شيء! أي شيء! وترويع المجتمع على النحو الذي نقوم به، ولن ننقطع عن القيام به، يعني حرمانه من الشجاعة، ويعني ببساطة أن نجاهر بافتقادنا إلى أي حس اجتماعي أو سياسي. وفكرت أيضاً، سينقلب مآلنا إلى شمطاوات وعجائز يتوعدون قبل أن ينبلج فجر حياة جديدة، وفي خضم كراهيتنا لذلك الفجر سنقف في مقدمة من يجهزون عليه.

وفكرت لو تسنى لنا الآن نيل الحرية السياسية التي نسهب في الحديث عنها، بينما نحن متكالبون على تبادل العض، سنهدرها في كيل الاتهامات لبعضنا البعض على صفحات الجرائد

■ وكالات

مسرح عبثي!

■ وائل زيتون

وضعت قبعتي الصيفية، وأدنيتها حتى لا تظهر عيناي، فلا أريد أن أرى أحداً، وخرجت من المنزل، خطوات سريعة، الحاجبان يعبران عن الغضب، هذه عادتي، قطعت مسافة لا بأس بها بعيداً عن البيت، وإذ بطفل صغير يركض خلفي ويصرخ. أدرت رأسي بشدة، فَوجدت ذراعين صغيرين يحيطان خصري و رأساً يختبئ بين قدمي، «عمو جبهة النصرة بدها تقطعلي راسي»، اتسعت حدقتاي واستراح فكي السفلي، «جبهة النصرة ؟! مالذي أتى بها إلى هنا؟».

نظرت إليه، «هل رأيتهم أم أن أحداً قال لك؟» فأجاب وهو يصرخ « ثلاثة يحملون السيوف، ويغنون بالذبح جيناكم»، إنه ليس قادراً على أن يجيد مثل هذا النوع من المزاح الثقيل، يا للمصيبة!، ماذا سأفعل الآن؟، لن أركض كي لا يشعروا أني خائف أو مذنب، رفعت بنطالي ورميت بعلبة السجائر بعيداً، فقد سمعت أنهم يقومون بجلد المدخنين، أخذت بيد الطفل ووقفنا حامين ظهرنا بالحائط، وصارت تسبح في عقلي مشاهد لا تمت للإنسانية بصلة، رأيتها على التلفاز و تعجز يدي عن كتابتها، وبدأت ألبومات الصور تحترق في ذاكرتي، قلت في نفسي «سأفعل ما بوسعي حتى لا يقتربوا من هذا الصغير، فهم سيقتلونني في جميع الأحوال».

زعق صوت في أذني، جعل شرايين قلبي تتصلب، أطلقه وأخذ وضعية القرفصاء خلفي «مشان الله يا عمو أجوا يدبحوني»، وبحركة بطيئة جداً استدار رأسي «الذي سينتزع عن جسدي بعد لحظات»، وإذ بسيف يداعب حنجرتي، وثلاثة سيوف يناطحون معدتي، شعرت أن دمي يتدفق بسرعة إلى رأسي مع قليل من الارتياح في أسفل قدمي، فجلست على الأرض وانفجرت ضاحكاً، كانت السيوف بلاستيكية يحملها ثلاثة صبيان صغار تكاد أيديهم أن تتجمد من البرد، سألت أحدهم «لماذا تحمل سيفين؟» استنشق جرعة هواء عبر أنفه قاصداً بها أن يرفع السائل المخاطي المتأرجح فوق شفته العليا

وأجاب «لأنني قائد الكتيبة»، وسألت طفلاً آخر«ولماذا تريدون ذبحه» فابتسم ليظهر أسنانه المتكسرة وقال: «لأنه عوايني، وسلم أخي للشبيحة مشان يقتلوه».

أتى رجل من آخر الطريق قاطع حديثنا «هيا يا أولاد، سنذهب إلى بيت جدتكم»، أغمد الصغار سيوفهم وركضوا نحو أبيهم، وتركوا خلفهم مسرحية كنت أنا البطل والجمهور فيها، مسرحية كتبها أعداء الإنسانية، وضعت قبعتي وقمت لأكمل طريقي، وأنا أردد كيف تمكن العنف أن يشوه عالم أطفالنا وأرواحهم.

خُلق لينتظر

■ رامي طه

يصمت فجأة صوت ضجيج الحياة، «انقطعت..!» يصيح شادي من الغرفة الأخرى، كنت في المطبخ، علمت أنها الكهرباء، لكنها انقطعت اليوم بتوقيت مختلف عن البارحة. دخلت إلى الغرفة فرأيت شادي متكئاً على الأريكة، وعيناه لا تزالان تنظران باتجاه التلفاز الذي كان يبث صوتاً وصورة مانحاً بعض المواساة الافتراضية كتعويض عن الحياة الواقعية التي لم تعد في الحقيقة حياةً بقدر ما أصبحت حالةً من «الموت النفسي البطيء».

يقاطع شرودي في تلك اللحظة صوت مزعج، يصيح شادي مرة أخرى: «هوو هوو علينا .. ناقصنا المولدة .. ما بكفي انقطعت الكهربا .. ولا ما بصير نرتاح أبداً».

أجيبه مواسياً: «طول بالك .. بعد شوي بتتعود عالصوت.. ع شو كنت عم تتفرج من شوي؟» فيقول : «برنامج عن الحياة البرية اسمو «خُلق ليفترس»».

كنت مولعاً بالحياة البرية، لذلك صمتت كل الأصوات في عقلي، ولم أعد أرى أو أسمع شيئاً، كررت الجملة بيني وبين نفسي : «الحياة البرية...» فكرت: «وما نعيشه اليوم أليس هو الحياة البرية بعينها؟!».

ربما وجدنا اليوم أنفسنا أكثر برية وبربرية من تلك الحيوانات التي نتفرج على تفاصيل حياتها ووحشيتها في الغابات، ولكن البشر يغلفون بربريتهم بمظاهر «حضارية» ليس أكثر، مدن وأبنية وسيارات، تكنولوجيا حديثة...الخ ويبقى التعامل مع الناس من أولئك الذين يتحكمون بالقرار هو الأكثر بربرية من الكل.

وتستطيع هنا أن تصنع بدل الفيلم أفلاماً كثيرة، عن وحشية الإنسان، وخطر لي أن السوريين يعيشون فيلمهم الخاص ربما سيكون اسمه «خُلق لينتظر» وأحداثه بسيطة ليس فيها تعقيد إنها الحياة العادية لأي مواطن سوري، فما من عمل يتم دون انتظار، فالأعمال التي كانت غايةً في السهولة سابقاً باتت اليوم تشكل عبئاً حقيقياً، وأصبحت كل الأمور تُقاس بمقياس واحد «كم سأنتظر؟».

كم سننتظر على الحواجز وفي الفرن وعند محطة الحافلات، وكم سننتظر الكهرباء أو خبراً عن مفقود أو مخطوف أو معتقل، وكم سننتظر الموت؟

إن هذا الانتظار ليس عبثياً كما يبدو، بل إنه انتظار مقصود حيث هناك من يريد لنا أن ننتظر كل شيء إلا الحل الحقيقي لكارثتنا الموجعة، وأن نستمر في حالة الانتظار والترقب هذه وصولاً إلى المرحلة التي نقبل فيها بأي «حل» حتى لو مس هذا «الحل» كرامتنا.

ربما عندما سيجري إدراك هذه الحقيقة تتغير أحداث الفيلم وربما نهايته أيضاً فبدلاً من «خُلق لينتظر» سيصبح «خُلق لينتصر».

للانتساب لحزب الإرادة الشعبية بجميع المحافظات.. نرجوالإتصال على الأرقام التالية:

المحافظة	الاسم	الهاتف	دمشق وريفها	علاء عرفات	0944636640	طرطوس	رئيف بدور	0933586928	الحسكة	حمدالله ابراهيم	0999212404
درعا	خالد الشرع	0932848985	حمص	محمد زهري زهرة	0933145891	حماة	أنور أبوحامضة	0933763888	حلب	جمال عبدو	0933796639
السويداء	مهند دليقان	0991586731	اللاذقية	صلاح طراف	0988386581	دير الزور	زهير المشعان	0932801133	الرقة	محمد فياض	0945817112

«تم إغلاق تحرير هذا العدد يوم الجمعة 03/ 01/ 2014» «قاسيون» أصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 18/12/2003

قاسيون ناطقة باسم حزب الإرادة الشعبية بقرار المؤتمر التاسع الاستثنائي في 03/12/2011

الساعة 12 بتوقيت دمشق

لماذا كان على سانديلا أن تنزل الدرج مسرعةً وتضيع حذاءها، قبل أن ينتصف الليل عند الساعة الثانية عشرة، ألم تستطع الساحرة منحها المزيد من الوقت حتى الواحدة أو الثانية فجراً، كي تستمر في الرقص مع الأمير وتخرّب تتمة الحكاية؟

■ نور أبو فرّاج

ليست الساعات سوى نظام لترميز الزمن وتقطيعه والسيطرة عليه بحشره ضمن ساعة رملية أو تعليقه على الحائط. ولأن الإنسان لا يستطيع إيقاف الزمن أو استبقاءه، يكتفي بتتبعه ورصد تحركاته. إلا أنه، ودون أن يدري، يقع حبيس نظام ترميزه الخاص، الذي يبدو أحياناً أزلياً، كليّ السطوة، سابقاً للزمن ذاته.

للساعة الثانية عشرة ليلاً بريقها الخاص؛ هي ليست واضحةً كمثيلتها التي تنصّف النهار، ليست حياديةً كالرابعة ظهراً، أو مبكرةً كالخامسة فجراً. هي الحد الفاصل بين الحقيقة الفجة والحلم.

تثير الساعة 12الأخيرة من الشهر الأخير في العام جلبةً من نوعٍ مختلف، جلبةً أزعجت أحد الشبان المغرقين في «علميّتهم» وواقعيتهم، بحيث صرخ بالمحتفلين فجأةً «كل ما في الأمر أن كوكب الأرض أتم دورةً كاملةً حول الشمس، ولم يتغير أي شيٍ في مسار الكون! توقفوا عن إصدار الضجيج!!». كان للحالمين رأيٌ مختلف؛ هم يحتاجون إلى بدايات أو انهايات إصطلاحية. يحتاجون أداة لقياس الخيبات والأحلام والابتسامات، يحتاجون إيقاف الزمن إفتراضياً والنظر إليه من بعيد.

لطالما بدا غريباً تجسيد الزمن ليلة رأس السنة بحيث يكاد يلمس في اليد؛ ذلك الإنقلاب المفاجئ بين عامٍ وآخر في الوقت الذي يبدو فيه الكون ثابتاً هادئاً كأن شيئاً لم يتغير. حينما يرغب الأصدقاء والأخوة بعناق بعضهم البعض عندما تعلن الساعة منتصف الليل، كأنهم إلتقوا محض مصادفة.

الأطفال يقاومون النعاس الذي يغالبهم ويثقل جفونهم لأنهم وكالجميع يريدون أن يشهدوا لحظة الانقلاب. يخفون بمهارة خيبتهم تحت وابلٍ من الصراخ والضحكات على غِرار الكبار من حولهم، حتى لا يفتضح أمرهم، ويكتشف الكبار أنهم أغفلوا التقاط «اللحظة».

في سورية بدت الحرب لوهلة كما لو أنها أخلت بنظام الترميز هذا، أحصى السوريّون طوال عام أيامهم بصورة مختلفة، إلا أن «رأس السنة» استطاع بشكل آخر تذكيرهم بنظام الكون، وأنهم بآلامهم وصراعاتهم وبلادهم الصغيرة جزء من كوكب يدور. اختار بعضهم أن يعبروا العام الجديد نياماً، وحاول آخرون حشد ما اتيح لهم من فرح، مرت ذكريات العام المنصرم كألبوم صور، وتوقفت طويلاً عند صور الأحبة، جاءتهم الأصوات بعيدة مشوشة من بلاد بعيدة. ربما يقبلون أن تكون هذه الليلة نهايةً لعام من آلامهم حتى لو إصطلاحاً، «غداً يومٌ آخر» قالوا في سرّهم، شردت أفكارهم وغابوا لحظة عما حولهم قبل أن يوقظهم الضجيج في الخارج، إنها الساعة الثانية عشرة بتوقيت دمشق.

عذراً أيها المنجمون...

أليس التوازن الدولي هو ما يمكنه التنبؤ باستحالة سقوط النظام السوري أو انتصار المعارضة المسلحة...!؟ أليس من اليسير بمكان التنبؤ بحدوث انفجار قد يودي بحياة عشرات السوريين أو اللبنانيين مثلاً...!؟؟ أليس من المنطقي استقراء ذاك الاشتباك الأمني الحاد الذي ستشهده ربوع «طرابلس» المليئة بالجهاديين...!!؟ هل كان زياد الرحباني منجماً عندما استقرأ قبل شهور طويلة مظاهر الدم التي ستشهدها مصر في الأيام الحالية والقادمة...!!؟

■ رند سودان

مع اقتراب كل عام جديد، يظهر لنا «عَلَم» جديد ليروي أحلامه ورؤاه على وقع موسيقا تصويرية، تحاول تحفيز المستمعين بشكل أو بآخر، «فغالي» سيعتلي منبر الـ otv أما «زعيتر» فسيلقى حظه المعتاد على الـ mtv أو الـ lbc في حال انشغال الأولى بإحدى حفلاتها الصاخبة، وبذلك يتقاسم «غريبو الأطوار» هؤلاء فضائيات الإعلام كل سنة لدرجة يصبح معها «التنبؤ» بما سيقولونه ويرسمونه للعام الجديد أكثر «مصداقية» و«منهجية» من تنبؤاتهم بحد ذاتها ...!، ولكن ومع ازدياد مساحة «النبوءة» في قنوات الإعلام وفضائياته يصبح من المستحيل تجنب سماع رواية أحدهم وهو يقص ما روته له مصادره «الغيبيّة».....

«سيشهد السوريين عاماً أفضل من الـ 2013» بهذه الجملة يفتتح أحد متنبئي الشاشة الصغيرة حديثه عن سورية وما تخفيه لها أيام العام الجديد، جملة ربما لم ينجح صاحبنا أو قناته «الذكية» في إثارة الفضول المعتاد لسماع باقي تفاصيل الخطة السنوية التي ترسمها أحلامه للحدث الذي يشغل بال الكثيرين، فالأزمة السورية – وبالنسبة للسوريين على الأقل – ليست رهينة تفاؤل صديقنا هذا أو تشاؤم ذاك، والسوري وإن كان غريقاً في دوامة العنف والدم التي تحيط ببلاده فهو حتماً لن يعلق آماله على «قشة» الأكاذيب هذه.

يدرك السوريون بشكل لا لبس فيه أن قضيتهم أو أزمتهم ليست محط استثمار إعلامي، كما أنها ليست مجرد ضرب من التسلية نمضي به ليلة رأس السنة، والأهم من هذا وذاك أنها ليست ضحية لجملة الأحاسيس التي نمر بها في وداع سنة الـ 2013، فمع حجم المآسي التي مر بها السوريون في الأعوام الثلاثة الماضية، بات أغلبهم يدرك أن سورية تحتاج لما هو أبعد من حدود «التشاؤم» أو «التفاؤل» الذي قد يحاول البعض إملاءه علينا بألعابه الإعلامية القذرة، هي أزمة تستحضر فينا العقول التي قد ترى بقدرتها ما هو أبعد من إحساس «فلان» أو عاطفة «فلان» آخر...

تحتاج سورية اليوم وبأكثر من أي وقت مضى إلى تلك العقول الباردة التي تستطيع عبرها وحدها رسم خطاها ومستقبلها لعقود قادمة لا تستطيع حتماً أن ترسمها حظوظ الأبراج وتنبؤات المنجمين أو ترهاتهم...

قاسيون
2014
اطلاق حملة الاشتراكات السنوية
000 ليرة سورية قيمة الاشتراك السنوي
2000 ل.س للمؤسسات والجهات العامة والخاصة
كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار
حزب الإرادة الشعبية

بالزاوية!

طوني حصني
tony@kassioun.org

جرد حساب متأخر

ما الذي يمكن أن نودع به هذا العام «الكبيس»؟ ما هي الخسائر الكبيرة والصغيرة التي يتوجب علينا أن نحتسبها ونحفظها في ذاكرتنا الصلبة؟ وكيف لنا أن نجدول خساراتنا «الحقيقية» بحسب أولوياتها؟ لا لنرثي فقط ما يتوجب فقده الرثاء، أو نطهر ذاكرة الشجن والحنين من آلام الصدف والتفاصيل الثانوية، ونحفظ ما هو ضروري وجوهري حقاً، بل لكي نفي بواجباتنا وحقوقنا إنسانياً «أخلاقياً» تجاه ما خسرنا، وتجاه الناس الذين رحلوا! وكي نستمر في المقاومة والكفاح ولنكون جديرين بالمستقبل!

قد لا تفيد هنا كل الاستعارات التقليدية والأمثال الشعبية ولا حتى الحكم المتوارثة التي تعتقت مع الزمن وكثفت في بلاغتها المختصرة تجارب الأقدمين! فما بات مطلوباً منا كسوريين يحتاج إلى ما هو أبعد من المواقف العامة أو ردود الفعل المباشرة، وأعمق من التأثير النفسي المباشر لكل الخسائر المتنوعة، إذ هل يحق لنا أن نكتفي بالمراثي الواجبة، أو أن نقفز فوق الزمن في عامنا المنصرم دون أن نجري «جرد» حساب صارم مع أنفسنا أولاً ومع كل ما حولنا ثانياً؟

بات جرد حساب أكثرإلحاحاً من أي وقت مضى، في كشف قاس وشامل لمجمل الحال بدءاً من توصيف مشهدنا الحالي وتقييمه وانتهاء بمحاسبة كل القوى والأطراف، المجموعات والأفراد، المؤثرين أو «الصامتين» منهم، على طريقة أدائهم ودورهم في هذه الأزمة المدمرة وهي تدخل عامها الثالث، وفي نقد قاس لكل «التقلبات» والمواقف والآراء السابقة واللاحقة.

ستشكل نتائج ومآسي الصراع في أزمتنا وحجم خسائر السوريين الهائل، سداً معنوياً محبطاً يمنعهم من إجراء «جرد» حساباتهم، خاصة في ظل استماتة طرفي الصراع المتشددين لتيئيس الناس وابعادهم عن أي عمل حقيقي، ودعايتهم تقول: إذا كانت الخسارة مفجعة و«نهائية» إلى هذا الحد فبماذا ينفع جرد الحساب؟

مع نهاية هذا العام، والحديث عن اقتراب الحل السياسي، قد يكون جرد الحساب هذا أكثر ما يخشاه طرفا الصراع المتشددين، لكنه سيكون ممراً إجبارياً إن لم يكن اليوم فقريبا جداً، فهل نتنازل كسوريين عن إجراء هذا الجرد بأيدينا وانطلاقاً من أنفسنا؟